الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس

- مستغانم -

كلية الأدب والفنون

قسم اللغة والأدب العربي.

المباحث الصوتية العربية التراثية في ميزان الدرس الصوتي الحديث

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

-من إعداد الطالبتين:

*مناصر مريم خضرة.

*مغاوي مروة لمياء.

بإشراف:

* د. مباركي هاجر.

أ. هاجر مباركي
أستاذة الأدب المقارن
جامعة مستغانم

السنة الجامعية: 2022.2021

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}. صدق الله العظيم.

<u>سورة الفتح الآية: 4</u>

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا في انجاز هذا العمل ويسرّنا ونحن في هذا المقام أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد ونخص بالذكر الأستاذة المشرفة الدكتورة مباركي هاجر التّي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة.

كما نتقدم بالشّكر إلى كل المعلمين والمعلمات من الطّور الابتدائي إلى الثانوي إلى الجامعة وإلى الذّين لم يبخلوا علينا بكلّ ما لديهم.

الإهداء

إلى نبع الحنان وبسمة الأمل، إلى من كان دعاؤها سرّ نجاحي، إلى من بفضلها وصلت إلى هذا المستوى، إلى من كانت لي سند في هذه الدنيا المليئة بالامتحانات، إلى سبب وقوفي من جديد إلى أمي الحبيبة الطاهرة العفيفة.

أهدي هذا العمل بفخر واعتزاز وكل فرح وسرور إلى كل من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد في عمرك أبي الغالي حبيبي.

إلى إخوتي (صالح الدّ ين وسيدعلي مصدر شجاعتي وثقتي) و إلى الصغيرة عائشة حبيبتي.

إلى سندني زوجي (ب. علاء الدين) وإلى عائلته.

إلى كل من كان لي عونا طيلة مشواري الدراسي خاصة زميلتي مروة مغاوي".

إلى معلمي القدير "بودلة العيد".

إلى الطلبة الأعزاء، إلى أسرة الأدب العربي، إلى كل من علمني حرفا.

أهدي هذا البحث راجية من المولى القبول والسّداد والتّمام.

م. مريم

الإهداء

إلى صاحب الهيبة الوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أبي ومعلمي عبد الله

إلى من حملتني في بطنها، وربتني سهرت من أجلي إلى من كان دعاؤها سر نجاحي أمي وحبيبتي: خيرة.

إلى أخواي اللذان أعتبرهما سندي في حياتي محمد بن علي وأحمد عبد الرحمن

إلى الريحانتين اللتين تلونان حياتي أختاي صفاء فاطمة الزهراء ومريم البتول

إلى رفيقتي وزميلتي مريم مناصر.

إلى كل أستاذ ومعلم يحترق ليضيء على الآخرين.

إلى كل طالب علم يسهر من أجل المنى.

إلى كل من نسيه قلمي وتذكره قلبي

م. مروة

المقدمـــــة:

تعد اللغة حاجة إنسانية ضرورية فهي أداة التواصل مع الغير وبها يترجم الفرد أفكاره ويبلغ عن حاجاته .فضلا على أنها وسيلة هامة لنقل العلوم والمعارف. ونظرا لأهميتها أصبحت محط انشغال العلماء والباحثين القدامى والمحدثين فأسفر على هذا ظهور علم اللغة الذي يهتم بدراسة اللغة الإنسانية على المستوى الصوتي، الصرفي التركيبي، والدلالي. فبالنظر إلى كونها أصوات تتسق وفق نظام معين فلا يمكننا تجاوز المستوى الصوتي للانتقال إلى مستوى آخر.

يعد الصوت أصغر وحدة في اللغة وهو الحجر الأساس الذي تبنى منه الكلمة وكذا علوم اللغة من صرف ونحو وبلاغة ونظرا لأهميته جعله المختصون مساحة خاصة لها فروعها ونظرياتها تدرسه وتدرس آليات حدوثه. لم يترافق علم الاصوات في نشأته مع علم اللسانيات بل له جذور قديمة في التراث إذ قام في تأسيسه على تراكمات علمية قديمة بدايتها كانت مع الهنود واليونان ثم العرب، تجلت في إرهاصات سبقت ظهور علم اللغة فراح المحدثون العرب الين أضفت جهودهم لمسات محدثة للغة بفروعها المتعددة منطلقين في ذلك من أسس ومعايير جديدة.

إن علم الأصوات يدرس صفات الأصوات والتعرف على خواصها، وكيف يمكن إدراكها بمجرد سماعها، ومخارج الأصوات هي الأعضاء التي تتوقف عندها الأصوات فيتم تمييز كل صوت عما سواه، ولكل صوت صفة يتميز بها تجعل مخرجه معروف ومميز عن باقي الأصوات. إلاَّ أنَّ اللغة العربية تفوقت على أخواتها في خصائص وميزات أعطتها الرِّيادة وضمنت لها البقاء والارتقاء خاصة في الصوتيات.

للغة العربية إحدى اللغات السامية، تلك اللغات التي امتازت من بين سائر لغات البشر بفصاحتها وتنوع أبنيتها وأساليبها وعذوبة منطقها ووضوح مخارج أصواتها، وقد ميزها وكرمها الله عزَّ وجلَّ بأن جعلها لغة القرآن الكريم، ولهذا استخدمها الشعراء والأدباء في التعبير عن مشاعرهم. ومع انتشار الاسلام في كافة أنحاء العالم. اتجه الكثير من الأعاجم لتعلم قواعدها ومبادئها، بدءا من الحروف ومخارج الأصوات، لحفظ القرآن الكريم وإيجادته على نحو سليم.

وعلى هذا الأساس موضوع البحث هو إجراء مقارنة في المباحث الصوتية التراثية والحديثة. تهدف إلى تتبع مراحل تطوره والكشف عن جهود القدامى في التأسيس له وبيان أهم الاختلافات بين اللغة العربية القديمة والحديثة.

يطرح البحث الاشكال التالي: -كيف درس العرب القدامى والمحدثين علم الأصوات؟ -وما أهم ضروب التباين بينهم في الدراسة؟

يقوم البحث على دوافع موضوعية وذاتية، أما الموضوعية فتتجلى في النقاط التالية:

أولا: يعد موضوع علم الأصوات موضوعا واسعا ومتشعبا إذ يتقاطع مع كل العلوم اللغوية والفيزيائية والطبية.

ثانيا: أثار اهتمام عباقرة اللغة القدماء والمحدثين، إذ تعرض القدامى له للحفاظ على القرآن الكريم من اللحن وكذا تسهيل العربية على الأعاجم.

أمَّا الذاتية تتمثل في:

أولا: الميل إلى هذا النوع من الدراسات.

ثانيا: الرغبة في إضفاء الجديد إلى البحوث السابقة.

يصنف منهج الدراسة بأنه وصفي تاريخي مقارن، وصفي في سرده للحقائق العلمية في فترات معينة. تاريخي في تتبع مراحل تطور الدرس الصوتي

استفادت هذه الدراسة من مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها: معجم العين للفراهيدي، سر صناعة الإعراب لابن جني، الكتاب لسيبويه، صناعة المصطلح الصوتي لهشام خالدي، الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس.

إن جاز لنا الحديث عن العقبات والعوائق في هذا البحث سنسجل أهم عقبة صادفت هذا البحث وهي شساعة الموضوع وتشعبه. وبالرغم من ذلك حاول هذا البحث الوقوف عند أهم المحطات التّي تضيء جوانب دراسة الصوتيات لدى المتلقي.

يقوم هيكل البحث "المباحث الصوتية العربية التراثية في ميزان الدرس الصوتي الحديث على مدخل، وفصلين وخاتمة.

المدخل: معنون بعلم ألأصوات، خصصناه للحديث عن مفهوم علم الأصوات عند الهنود واليونان.

الفصل الأول: خصصناه للحديث عن: علم الأصوات النشأة والتطور والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول تحدثنا عن علم الأصوات في الأصالة، والثاني: علم الأصوات عند المحدثين، أماَّ الثالث تطرقنا إلى دراسة العلاقة بين علم الأصوات وعلوم اللغة المحيطة، من صرف ونحو وعلم التجويد، وبلاغة. كما ذيلنا الفصل بتركيب نعرج فيه ملخص أو بالأحرى نتيجة للفصل.

الفصل الثاني: يندرج تحت عنوان علم الأصوات بين الاصالة والحداثة، خصصناه

لمجال مقارنة علم الأصوات بين: القدامى والمحدثين تطرقنا في المبحث الأول إلى المصطلح الصوتي بين القدماء والمحدثين -قواعد الاصطلاح- (رأي المحدثين في مصطلحات القدماء). ثم انتقلنا إلى مناهج البحث والتدوين عند القدماء والمحدثين في المبحث الثاني. وصولا إلى تصنيف مخارج الحروف في المبحث الثالث. ثم تركيب في آخر كل فصل يتضمن أهم النتائج.

ثم ذيلنا هذا البحث بخاتمة قدمنا فيها نتائج البحث.

في الأخير لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بالامتنان إلى أستاذتنا المشرفة د. مباركي هاجر التي لم تبخل علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيمة، نتمنى أن يكون هذا البحث إضافة طيبة فيها من الفائدة الكثير دعما لبحوث سبقتها.

المدخل:

لمحة عن علم الأصوات

- **المبحث الأول:** مفهوم علم الأصوات وأهميته.
- **المبحث الثاني:** الدراسات الصوتية القديمة(عند الهنود واليونان).

تمهيد:.

يعد الدرس الصوتي من أعتق الدروس وأقدمها إذ تمتد جذورها إلى ما قبل الميلاد فكانت البداية مع الهنود في محاولة منهم لحفظ كتابهم المقدس"الفيدا". وهذا عبر ضبطهم للغة السنسكريتية وتلاهم بعد ذلك اليونان بوجهة فلسفية .قبل الولوج إلى المدخل نطرح هاته الأسئلة بغرض الإجابة عنها _1ما هو الصوت؟ _2كيف درس الهنود واليونان الأصوات قديما؟ للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا المدخل إلى مبحثين الأول تطرقنا فيه إلى مفهوم علم الأصوات وأهميته والثاني دراسة الهنود واليونان لعلم الأصوات.

➢ المبحث الأول: مفهوم علم الأصوات وأهميته

✓ مفهوم علم الأصوات:

قبل التطرق لماهية علم الأصوات وجب أولا التعرف على مفهوم الصوت:

أ- الصوت في الدلالة المعجمية:

يعرفه الخليل في مادة (ص، و، ت) بقوله: "صوت فلان بفلان تصوريا أي دعاه، وصات يصوّت صوتا فهو صائت بمعنى صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات ، ورجل حيث أحسن الصّوت و فلان حسن الصّيت له صيت وذكر في الناس حسن"[1].

يعرفه الرازي في الصّحاح: " والصّوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت وصوت تصويتا فهو مصوت والصوت مذكر لأنه مصدر كالضّرب والقتل، والصّوت معقول لأنه يدرك ولا خلاف بين العقلاء في وجود ما لا يدرك وهو عرض ليس بجسم ولا صفة لجسم والدّليل على أنّه ليس بجسم أنّه مدرك بحاسة السّمع والأجسام مماثلة، والإدراك إنّما يتعلق بصفات الذّوات فلو كانت جسما لكانت جميعا مدركة بحاسة السّمع"[2] .

ويعرّفه ابن فارس في قوله: " الصّاد والواو والتّاء أصل صحيح وهو جنس لكلّ ما وقر في أذن السّامع يقال هذا صوت زيد، ورجل صيّت إذا كان شديد الصّوت وصائت إذا صاح، فأمّا قولهم دعي فانْصات فهو من ذلك أيضا كأنّه به صوت كانْفعل من الصّوت، وذلك إذا أجاب والصّيد الذّكر الحسن في النّاس يقال ذهب صيته"[3] .

أورد ابن منظور في لسان العرب:" الصّوت، الجرس، معروف، مذكر وقد قال يصوّت ويصات صوتا وأصات وصوّت به، كلّه نادى، ويقال: صوّت بإنسان فدعاه ويقال

---

[1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988، لبنان، مادّة (ص، و، ت).

[2] أبوبكر الرّازي، مختار الصّحاح، تع: مصطفى ديب أليغا، دار الهدى، (د، ت)، عين مليلة، الجزائر، ص242.

[3] -ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، ج1، (دط)، 1979، ص 318-319.

صات يصوت صوتا فهو صائت معناه صائح، وفي الحديث كان العبّاس رجلا صيتا أي شديد الصّوت عاليَهُ ."[1]

- الصوت في اللغة مأخوذ من أصل صحيح وهو مادة (ص، و، ت) لا هو بجسم ولا هو بصفة لأنّه مدرك بحاسة السّمع فهو محسوس.

ب- اصطلاحا:

يعرفه ابن جني في سرّ صناعة الإعراب قائلا:" اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا أملس حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، وتسمى المقطع أينما عرض له وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها"[2]. فالصوت عنده عرض والعرض ما لا ثوب له وهو ما يتوافق مع المفهوم اللّغوي أي أنه محسوس غير ملموس وأساس حدوثه اندفاع الهواء وانحباسه في أعضاء معينة وهي الحلق والفم والشّفتين. وهذا ما يتوافق مع ما جاء مع تعريف الرّازي في قوله: "لا شكّ أنّ هذه الكلمات إنّما تحصل من الأصوات والحروف فعند ذلك يجب البحث عن حقيقة الصّوت وعن أسباب وجوده ولاشكّ أن حدوث الصّوت في الحيوان إنّما كان بسبب خروج النفس من الصدر فعندها يجب البحث عن حقيقة النّفس وأنه ما الحكمة في كون الإنسان متنفسا على سبيل الضّرورة وأنّ هذا الصّوت يحصل بسبب إدخال النّفس أو بسبب إخراجه وعند هذا تحتاج المباحث إلى معرفة أحوال القلب والرّئة ومعرفة الحجاب الذي هو المبدأ الأول لحركة الصوت ومعرفة مباشر العضلات المحركة للبطن والحنجرة واللّسان والشّفتين"[3].ما أضافه الرّازي هنا (عدا اندفاع الهواء) أعضاء أخرى يحبس عندها البطن والحنجرة واللّسان والشّفتين .وهو ما توافق عليه علماء العربية إذ يقولون عنه أنّه:" أثر سمعي يصدر عن أعضاء النّطق غير محدّد بمعنى معين في ذاته أو في غيره إذ أنّ ما خرج من الفم إن لم يشمل على حرف فصوت"[4]. هو كل ما يصدر عن الجهاز النطقي من حرف –أي كلام- أو غيره كصوت السعال مثلا.

أورده حسان تمام :"الأثر السّمعي الذي به ذبذبة مستمرة مطردة ولو لم يكن مصدره جهازا صوتيا حيا"[5]. فهو كل ما يقع على السّمع من صوت وإن لم يكن صوتا حيا –أي صوتا طبيعيا، أما أحمد مختار عمر فيقول :"الأصوات هي اللبنات التي تشكل اللغة، أو المادة الخام التي تبنى منها الكلمات والعبارات. فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة، أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية. وعلى هذا فإن أي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، أو لعناصرها التّكوينية وتقتضي دراسة الصوت اللغوي تجمعاتها الصوتية"[6]. عرّفه بأنه أدق وأصغر وحدة في اللّغة.

وعليه فإنّ الصوت هو أدّق وحدة في اللّغة ويحدث بفعل حبس الهواء في موضع معيّن.

---

[1]-ابن منظور، لسان العرب، مادّة(ص ،و، ت).

[2]- ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج1، تح حسن الهنداوي، دار القلم ، ط2، 1993، دمشق، سوريا، ص6.

[3]- الفخر الرّازي، التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي، ط3 ، دت، بيروت، لبنان، ص11.

[4]- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصوتي في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، ط1 ، 2012، بيروت، لبنان، ص175.

[5]-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ،1988، الدار البيضاء، المغرب، ص67_68.

[6]-أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللّغوي، ط4، دار الكتب ، 1994، القاهرة، مصر، ص401.

ت- مفهوم علم الأصوات:

يعد المصطلح من أهم الخصائص التي يتميز بها أي علم من العلوم، إضافة إلى ما يحتويه من مبادئ عامة وأصول نظرية... ويمكن أن نعتبر دراسة ما علما، إذا كان لها العدد الكافي من المصطلحات الخاصة التي تحدد مختلف مفاهيمها، والتي تكون بطبيعة الحال نابعة من ماهية المادة المدروسة.

والمصطلح له شقان: لفظه الدال على المعنى اللغوي المتداول في اللغة العامة، وهو المعنى الذي وضعت له الكلمة ابتداء، ومعناه في الاصطلاح وهو الذي تخرج به الكلمة من معناها اللغوي العام إلى معنى خاص في علم من العلوم، ويسمى في اصطلاح اللغويين "المفهوم" وهذا ما يمكن أن يختلف فيه الدارسون.

والدراسة الصوتية –كغيرها من العلوم- تعاني من مشكلة الاختلاف في المصطلحات بين الدارسين: فهناك العديد من الأسماء التي وضعت لها، سواء في الدرس اللغوي الأجنبي، أو عندنا في دارستنا الحديثة، ابتداء من تحديد المصطلح الذي يعين بدقة معنى: الدرس الصوتي للغة.

عند استقراء المصطلحات التي تطلق على هذا المفهوم عند الأجانب، نجد أكثرها شيوعا في اللغة الإنجليزية Phonology و Phonetics ويمكن بتأمل بسيط أن نرى الاختلاف الواضح في مدلول هاتين الكلمتين فقد استعمل دي سوسير "اللفظ Phonetics للدلالة على ذلك الفرع من العلم التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، في حين حدد مجال Phonology، بدراسة العلمية الميكانيكية للنطق."[1] أما مدرسة براغ اللغوية فتستعمل "مصطلح Phonology عكس ما استعمله دي سوسير، إذ تريد به ذلك الفرع من علم اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها اللغوية"[2]، "أما Phonetics فقد أخرجه تروبتسكوي وجاكسون من علم اللغة"[3] واستعمل علم اللغة الإنجليزي والأمريكي مصطلح Phonology لعشرات السنين في معنى تاريخ الأصوات"

"ومن اللغويين من رفض الفصل بين ما يسمىPhonology و Phonetics لأن أبحاث كل منهما تعتمد على الأخرى، وَوَضَع الاثنين تحت مصطلحPhonetics أو تحت المصطلحPhonology"[4]. الكثير من اللغويين استخدموا كلا المصطلحين فونولوجيا والفونيتيك لغرض واحد ولا يفرق بينهما. "من اللغويين من اعتبر المصطلحين مترادفين، وميّز الدراسة التاريخية من الدراسة الوصفية عن طريق إضافة كلمة: تاريخي أو وصفي"[5]

[1] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، سنة 1997 ، القاهرة، ص 65
[2] المرجع نفسه، ص 66
[3] المرجع نفسه، ص66.
[4] المرجع نفسه، ص66

وصفي"[1] وشاع هذا الاختلاف أيضا عند الدارسين العرب، بين من يرى أخذ المصطلح الأجنبي كما هو من غير ترجمة له، وبين من يحاول ترجمته بشكل دقيق حتى يدل على المعنى المقصود، فلو أخذنا مثلا مصطلح Phonology الإنجليزي وأردنا تحديد ما يقابله في العربية نجده: "ينقل مرة كما هو في اللغة الإنجليزية، فيسمى الفنولوجيا، ويترجم مرة أخرى إلى تسميات عدة منها: التشكيل الصوتي، علم وظائف الأصوات، علم الأصوات التنظيمي، علم الأصوات، دراسة اللفظ الوظيفي، علم النظم الصوتية... وترجمات أخرى مدرجة في الترجمات السابقة مثل: علم الأصوات التشكيلي، الذي هو تحوير للترجمة السابقة التشكيل الصوتي، وكذلك علم الأصوات الوظيفي، الذي هو تحوير للترجمة: علم وظائف الأصوات، وقد ترجمه مجمع اللغة العربية في القاهرة: النطقيات"[2]، فترجمة المصطلح الواحد من اللغة الأجنبية إلى العربية تؤدي إلى توليد مصطلحات عديدة وهذا ما حدث مع الفونولوجيا.

يُعرف العلم الذي يدرس أصوات اللغة في جانبها المادي من غير نظر في وظائفها بأنه "العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات المنطوقة في لغة ما، وتحليلها وتصنيفها، بما في ذلك طريقة نطقها وانتقالها وإدراكها" فهو تناول الدراسة والتحليل الأصوات المنطوقة التي تصدر عن الإنسان طواعية واختيارا لغرض التبليغ، وذلك بأن يحللها إلى أصغر أجزائها (الأصوات البسيطة أو الحروف) ويقوم بوصفها، ليصل بعد ذلك إلى تصنيفها وفق معايير معينة، ويدرس إضافة إلى ذلك عملية انتقالها حتى تصير إلى أذن السامع، وما يرافق هذا الانتقال من ظواهرفيزيائية وميكانيكية...

ومن المعروف أن لكل صوت لغوي أثره في تحديد المعنى وإبراز الدلالة، فهو يؤدي دورا هاما ووظيفة أساسية في الكلمة، تنظم هذه الوظيفة قواعد اللغة العامة ونظامها الفنولوجي، إلا أن دارس الصوتيات لا يهتم بهذا المجال من الدراسة، بل إنه ينظر إلى الأصوات اللغوية من جانبها المادي، بغض النظر عن قيمتها الوظيفية في الكلام.

ونظرا لتوسع المباحث الصوتية في الدراسة اللسانية، فإن الصوتيات قد تفرعت بدورها إلى أقسام عدة، وفق ما تقتضيه الدقة والتخصص، لكل منها مجاله وبحثه، بحيث يخدم كل قسم الآخر ويتممه، بشكل يكفل الوصف الدقيق للأصوات اللغوية.

- ✓ **أهمية الدرس الصوتي:**

يحتل الدرس الصوتي موقعا هاما في دارسة اللغة التي لا يمكن أن تستغني عنه بحال من الأحوال، ولا أن تدرس الدارسة الوافية بمعزل عنه، باعتبارها في الحقيقة مجموعة من الأصوات.

---

[1] أحمد مختار عمر، دراسات الصوت اللغوي، ص 67

[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط 1، سنة 2000 ، ص 214/213.

وقد بين اللغويون واللسانيون في العصر الحديث أهمية الدراسة الصوتية في العديد من مؤلفاتهم، ذاكرين مواطن الاستفادة منها، "فهي تشير إلى حقائق عن كيف تصنع الأصوات، وتعطي أسماء لهذه الحقائق، وباستعمال المصطلحات التي توفرها الفونيتيكا يمكننا وصف كيف تتميز الأصوات عن بعضها البعض، وتصنف معا الأصوات التي تشترك في أسلوب معين لإخراجها."[1] وهذا ما لا يمكن أن يدرك بمجرد التأمل السطحي ، دون التخصص في هذا الجانب من الدرس والتبحر فيه.

ويقول الدكتور محمود السعران: " لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبينة على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولا وقبل كل شيء سلسلة من الأصوات، فلا بد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة أو العناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة".[2] وهذا ما يقتضيه تحليل اللغة ووصفها، إذ يصعب أن ندرك مختلف الجوانب للغة ما –ونقصد بها الجوانب الصرفية والنحوية والدلالية- قبل إدراك جانبها الصوتي الذي تنتظمه جملة من القوانين تبنى عليها بقية الجوانب الأخرى.

وإذا كان جل اللغويين يولون الجانب الأكبر من دراستهم- عادة- إلى الجوانب النحوية أو الصرفية أو الدلالية، فقد صار من الضروري الاهتمام بالجانب الصوتي وإعطائه حقه من الدراسة، بل أصبح واجبا " وجوب دراسة الصرف والنحو، إذ أن السيطرة على اللغة لا تتم بدون دراسة أصواتها، شأنها في ذلك شأن العلمين المذكورين تماما".[3] وتظهر آثار هذه الدراسة وفوائدها في العديد من المجالات التي تعتمد على نتائج الصوتيات بشكل مباشر، أهم هذه المجالات "تعليم اللغة القومية، وتعلم اللغات الأجنبية، ووضع الألفباء وإصلاحها".[4] أي أن لكل لغة ميزات صوتية معينة، ولتعلم أي لغة لابد من إدراك هذه الميزات.

ويضيف أحمد مختار عمر لهذه المجالات "تعليم الأداء، تعليم الصم، وعلاج عيوب النطق، وسائل الاتصال...".[5] فاستفادت مجالات علمية أخرى مهمة من علم الاصوات وبالأخص الذين يهتمون بمعالجة عيوب النطق.

هذا في المجالات العملية التطبيقية، أما في مجال الدرس اللغوي النظري؛ فإن الجانب الصوتي يخدم بشكل مباشر الجوانب الأخرى، ففي النحو مثلا يساعدنا "التفريق بين أنماط الجمل، تحديد أنماط الجمل والعبارات، توجيه الإعراب".[6]

أما عن الفائدة في مجال الدلالة والمعاني فإن المنطوق لا يكتمل معناه ولا يتم تحديده وتوضيحه، إلا إذا جاء مكسوا بكسائه المعين من الظواهر الصوتية الأدائية التي تناسب

---

[1] شرف الدين الراجحي وسامي عياد حنا، مبادئ علم اللسانيات، دار المعرفة الجامعية، سنة 2003 ، القاهرة، ص198

[2] محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، ط 2، سنة 1997 ، القاهرة، ص 104

[3] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، سنة2000 ، القاهرة، ص577

[4] المرجع نفسه، ينظر: ص597/587.

[5] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، سنة: 1997 ، القاهرة، ينظر: ص409/401.

[6] كمال بشر، علم الأصوات، ينظر:ص617/612.

مقامه، كالنبر والتنغيم والفواصل الصوتية، أو ما يمكن نعتها جميعا بالتلوين الموسيقي للكلام".[1]

كان علم الأصوات ولا يزال ذا فائدة عظيمة في تطوير أنظمة اللغة، فهذا الأخير أضحى منفصلا متشعبا بعد أن كان مجرد ملاحظات في مصنفات القدماء.

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص62.

➢ المبحث الثاني: الدراسات الصوتية القديمة(عند الهنود واليونان).

✓ الدراسات الصوتية عند الهنود:

لا بد من الإشارة في بادئ الأمر، أن الهنود كانوا السباقين من الناحية الزمنية في الاهتمام بمختلف قضايا اللغة: الصوتية، الصرفية، التركيبية، النحوية والدلالة، اتسمت أعمالهم بالدقة العملية المتناهية، والتنظيم المحكم وهو ما أثار إعجاب الغربيين المحدثين أنفسهم فبثوا عليه صرح أعمالهم العلمية.

إذا كانت الدراسات اللغوية عند اليونانيين قد نشأت في أحضان الفلسفة وأخذت صبغة منطقية في عمومها فإن الباعث على نظيرتها عند الهنود هو المحافظة على اللغة السنسكرتية، لغة الهند القديمة التي ارتبطت بجانب روحي في طقوسهم الوثنية المثبتة في كتابهم الديني (الفيدا)، "الذي جمعت فيه تعاليمهم العبادية، فحرصوا أتم الحرص على أدائه بصورة الصوتية المثالية على نحو ما سن علمائهم"[1]، ضمانا لصحة المراسيم الدينية خاصة فيما يتعلق بالكهنة لأنهم كانوا يعتقدون أن لغة كتابهم المقدس هي أقدم لغة على وجه الأرض كما أن تأسيسهم للنحو كان على أساس وصفي، يتناول اللغة كما هي في الاستعمال، "لقد اعتبر المهتمون بالدراسات اللغوية عند الهنود أن (بانيني panini) ، وهو من أبرز علماء القرن السابع أو السادس قبل الميلاد أفضل من يمثل الوصفيين القدماء لا سيما في مجال الدراسات النحوية (الفياكرانا ر)"[2]، التي نشطت للحفاظ على لغتهم. ومن المجالات التي لقيت اهتماما من قبل الهنود الدراسات الدلالية وإن لم تكن بالقدر الذي حظيت به الدراسات الصوتية و النحوية و الصرفية.

يقودنا الحديث عن الهنود واهتماماتهم إلى التعريج على أبرز القضايا التي تطرقوا إليها، والمتمثلة أساسا في:

❖ "مناقشة نشأة اللغة وعلاقة الأسماء بالمسميات و الطريقة التي يتسنى للألفاظ من

خلالها اكتساب دلالاتها"[3]، تطرقوا في البداية إلى أصل اللغة وكيف سميت الأشياء . "النظرية التي كانت غالبة عندهم بهذا الخصوص هي أن لغتهم مقدسة، أو جدها إليهم (آندر) "[4]. فبعد أن أوجدها ربط بين المسميات سواء كانت أشياء أو حيوانات الكلمات التي تدل عليها أي إنه لا دخل للإنسان في وجودها بل واجبه يكمن في المحافظة عليها، كامتداد لهذه القضية عولج وجهها الخفي المتمثل في ثنائية اللفظ والمعنى، التي لم يكن العلماء

[1] أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، سنة 2003، القاهرة، ص57.
[2] فرديناند ديسوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، ماي 1986، ص12.
[3] موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت (227)، نوفمبر 1997، ص33.
[4] المرجع نفسه، ينظر، ص56.

الهنود يقبلون بمبدأ التغاير بينهما على خلفية أن الكلمة تدخل دخولا ماديا في تكوين الشيء أي إنها عنصر داخل في صياغة المادة.

❖ غير أن طائفة أخرى تنظر إلى العلاقة من زاوية طريقة ارتباط اللفظ بمعناه،

فتجعل منها علاقة فطرية قديمة، و ربما كان ذلك بناء على أن اللغة، إنما نشأت من محاكاة الأصوات التي تتضمنها الطبيعة التي تحيط بالإنسان.

❖ هذا في الوقت الذي تذهب فيه طائفة ثالثة إلى الاعتبار التوفيقي بين الرأيين، فترى

أن العلاقة بين طرفي العلامة بالأساس، علاقة حادثة، أي ليست أزلية، ولكن ذلك الحدوث لم يكن إلا بإرادة، هي الإرادة الإلهية، وهذا المنحني شبيه إلى حد كبير موقف بعض فلاسفة اليونان، وشبيه أيضا بالنظرة الانجيلية للغة، التي تعتقد أن الله الذي أوجد العلاقة بين المسميات، والأسماء ثم حدثت بلبلة اللسان بإرادة إلهية ، فنتج عن ذلك أن زالت الروابط ولكن الله أقدر الإنسان على أن يعيد تشكيل روابط جديدة بعد أن حدثتا لهذه الإنسان خاصية إدراك الروابط أول الأمر[1].

واهتم العلماء المفكرون منذ القدم بظاهرة الصوت فالهنود درسوا أصوات اللغة السنسكرتية بكثير الدقة فاهتموا بالأصوات بهدف تحقيق النطق الصحيح لكتابهم (الفيدا). وكانت الأناشيد و التراتيل الدينية التي يلقونها في معابدهم صوتية.

و قد توصل الهنود في دراستهم للأصوات إلى الكيفية التي يتولد بها الصوت و ينتقل ويتنوع، وفرقوا بين الأصوات الطبيعية والبشرية.

✓ الدراسات الصوتية الدلالية عند اليونان:

إذا عدنا إلى التراث اليوناني، وجدناه حافلا بمختلف القضايا والنقاشات المرتبطة بصورة أو بأخرى باللغة عموما، وبالدرس الدلالي، والبحث في المعنى ومسائله على وجه الخصوص، لا سيما عند الفلاسفة وأهل المنطق، لارتباط اللغة بمادة تفكيرهم وأشكاله، وأهدافهم العلمية التي إليها يصبون، "وهي قبل كل شيء مظهرهم الإنساني الذي به يميزون - إلى جانب العقل الذي تعد هي واجهته- عن كافة المخلوقات من العجماوات. ولارتباط الفكر أو العقل باللغة التي تعد الكلمة وحدها الأساسية كان يعبر عن الكلام في الإغريقية بعبارة (ملكة النطق)، وهي عندهم تتجاوز دلالتها مجرد النطق البليغ إلى كونها ملكة العقل، والقدرة على التفكير بجميع عملياته و مراحله."[2] فاللغة خاصية يتميز بها الإنسان عن غيره

[1] السعران، علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ينظر: ص258.
[2] روي هاريس، تولبت جي تيلر، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، تر: أحمد شاكر الكلالي، دار الكتب الجديد، بيروت، ط1، 2004م، ص13

حيث أدرجت في فلسفتهم. ولعل من أبرز تلك المناقشات التي دار الحديث عنها بين الفلاسفة مسألة الكلمة، "وهي بمثابة تتابع صوتي، بالفكر الذي تعبر عنه، فقد اعتقد بعض الفلاسفة اليونانيين أن تلك العلاقة قائمة في أساس اللغة على مبدأ التبرير والعلية فهي من ثم شبيهة بتلك العلاقة السببية التي تربط بين النار وخاصية الإحراق."[1] عرفوا الكلمة على أنّها تتابع صوتي. "وهذا مبدأ أخذ به أفلاطون عن سقراط، وكان يعتقد أن تلك العلاقة بدأ يكتنفها الغموض وصعوبة الوقوف على سمة التبرير فيها، بازدياد نماء الذخيرة اللغوية، وكثرة مفرداتها، وتعرضها للتغير المستمر، وهو تغير قد يصيبها في جانب اللفظ، كما قد يعرض لناحية المعنى."[2]

ولطالما أنكر سقراط، كما ينقل عنه أفلاطون فكرة خضوع الأسماء للإرادة الفردية أو الجماعية، وإمكانية تغييرها، من منطلق أنها تعبر عن مسمياتها بالطبيعة أو بالضرورة، وإلا انهدمت آليتها، وتعطلت وظيفتها الأساسية، المتمثلة في التعيين."[3]

ومن هذا المنظار الوظيفي للغة يقول سقراط : "إذا أردنا البحث في اللغة، علينا أن نفترض اللغة وظيفية، وإلاَّ فليس هناك من شيء نبحثه، وبالمثل ما لم نفترض أن نول الحياكة الوظيفي، فليس هناك معنى في السؤال عن سبب وصفه وتجميعه بهذا الشكل أو ذاك، لذلك فإن من السخف، أن نبدأ بنظرية كنظرية هيرمونيز (harmojnize)، لأننا إذا دعينا أنه يمكن تغيير الأسماء بشكل عشوائي حسب الأهواء الفردية، فإن ذلك يعني ببساطة أننا ننكر عنصر الوظيفة في اللغة مسبقا، وهذا الإبداع لنا أساسا للبحث على الإطلاق."[4]

وعلى الرغم من أن أريسطو تتلمذ على يد أفلاطون المتأثر بدوره أشد التأثر بآراء سقراط، كما يبدو من خلال محاورة (كراتيليس)، فإنه استفاد من فكر أستاذه، لكنه خالفه في القضايا، بقاء البحث اللغوي تحت تأثير الفلسفي.

لقد اعتبر أرسطو أن العلاقة بين الرمز اللغوي و المعين، الذي هو بصدده علاقة عرفية، بحكم ما نجده في عالمنا من تغيير مستمر، وأن ما يصيب الألفاظ، أو معانيها من بند (ليس نتيجة التأثير عنصر الزمن فيما هو طبيعي بالأصل، بل إنه يحدث حال ما يتفق الناس على ذلك التغيير فاللغة في اعتقاده "نتاج العرف، ما دامت الأسماء لا تنشأ بشكل طبيعي"[5]، وأنَّ ما نراه من طرفي اللغة، بحكم أن تلك المحاكاة قد تختلف من لغة إلى أخرى، إضافة إلى أنها لا تشغل إلا حيزا يسيرا في الذخيرة اللغوية، سواء عند الفرد، أو عند الجماعة العضوية التي ينتمي إليها. و نجده يوضح موقفه من طبيعة العلامة اللغوية في

[1] إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، دار أنجلو المصرية، 1980م، ص62.
[2] أحمد مختار، علم الدلالة، ينظر: ص17-18.
[3] روي هاريس، أعلام الفكر اللغوي، ينظر: ص29-30.
[4] المرجع نفسه، ص33
[5] روبنز، موجز في تاريخ علم اللغة، ينظر: ص42-48.

علاقة اللفظ معناه، من خلال الفصل الأول من كتابه (التفسير)، حيث يرى أن الكلمات المنطوقة تمثل "رموز أو إشارات للانفعالات، أو الانضباطات النابعة من الروح، بينما الكلمات المكتوبة رموز الكلمات المنطوقة. والكتابة، مثلها مثل الكلام، تختلف بين الأجناس البشرية، بيدأن الانفعالات الذهنية ذاتها و ما هذه الكلمات أساسا إلا رمزا لها هي واحدة لدى جميع البشر وكذلك الحال بالنسبة لجميع الأشياء إذ تصبح الانفعالات إما تمثيلا لها أو صورا أو أفكار انطباعات عنها."[1] فأرسطو أول من فرق بين مصطلح الحرف والصوت.

وقد جنح اليونانيون بالدرس الصوتي إلى المنحى الفلسفي، حيث جعل الفلاسفة الصوت أحد الموضوعات التي يحتويها، غير أن بحثهم للصوت كان يعتمد على النظر الفلسفي المجرَّد و لم يكن يعتمد على التحليل العلمي المباشر.

و كانت الكتابة هي منطلق اليونانيين في دراسة الصوت، و في كتابة (الفن الشعري) حاول أرسطو أن يقدم تحليلا دقيقا للأصوات، فذهب إلى أن الحرف لا يتجزأ، وأنه صوت يدخل في تركيب صوت أعقد، وأدرك أرسطو أن الأبجدية تتألف من حروف صائتة ومتوسطة وصامتة والحرف الصائب هو الذي يملك صوتا مسموعا بفضل هذا التقارب، ولكنه يكون مسموعا إذا رافقه حرف صائت، وتختلف هذه الحروف باختلاف الأشكال التي يتخذها وضع الفم وباختلاف المكان الذي تنطلق منه، وقد تكون مجهورة أو مهموسة، حادة أو خشنة أو بين ذلك، أما المقطع فهو صوت خال من المعنى يتألف من حرفين صامت و صائت.

وهذه النتائج تدل على أن أرسطو عرض لمفهوم الصوت و حدده وبيَّن أنواع الحروف التي تتكون منها الأبجدية بحسب كيفية النطق وموضعه، كما أنه عرف مفهوم المقطع"[2]. عرف المقطع وتطرق إلى مخارج الأصوات.

ناقش الفلاسفة موضوع اكتساب اللفظ للدلالة فذهب كثير منهم إلى أن اللفظ يكتسب دلالته بطريقة طبيعية ومن أشهر القائلين به (هيرقليطس) الذي ذهب إلى أن المناسبة بين اللفظ و مدلوله مناسبة ضرورية وأن الأسماء بأصواتها تستطيع أن ترسم جواهر الأشياء وأن تنطق بماهيتها بأعيانها وقد عبر (أفلاطون) عن هذا الرأي بقوله على لسان (قراطليس): "يوجد بالطبيعة اسم صحيح لكل إذ الكلمة ليست تسمية يطلقها البعض على الشيء بعد التواطؤ ولكن ثمة بالطبيعة طريقة صحيحة للتدليل على الأشياء هي ذاتها لجميع الناس"[3] وإلى هذا ذهب كثير من فلاسفة الهنود والمسلمين، وأشهر القائلين بهذا المسلمين عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة، الذي ذهب إلى أن "بين اللفظ ومدلوله مناسبة

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ينظر: ص19.
[2] شفيقة العلوي، أهمية علم الأصوات في اكتساب اللغة، دار النشر، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، ص321.
[3] جرجي زيدان، فلسفة اللغة، دار الحداثة، ط2، 1982م، بيروت، ص15.

طبيعية حاملة لواضع على أن يضع"[1]، وقد تلمس هؤلاء براهينهم على صحة نظرياتهم بوسائل شتى.

أما عباد فقد قال: "إنه لم تكن هناك علاقة ضرورية وطبيعية بين اللفظ والمدلول حملت الواضع على أن هذا الام المسمى لكان تخصيص الاسم المعين ترجيحا من غير مرجح ".[2] فطبيعة الأصوات تدل على مدلولاتها وأما غيره فقد حاول إقامة الحجة بالتجربة العملية فيحدثنا السيوطي أن بعضا ممن كان رأي عباد كان يقول: "إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها فسئل ما مسمى (ادغاغ) وهو بالفارسية (الحجر) فقال: "أجد فيه يبسا شديدا ولعله الحجر"[3]. فمن طريقة تصنيف الأصوات أدرك المدلول الصّحيح للكلمة.

غير أن هذا الرأي لقي معارضة من جانب عدد غير قليل من الفلاسفة فرأو أن العلاقة بين اللفظ ودلالته تواضعية اصطلاحية، وأشهر من قال كذا ديقريطس وأفلاطون من فلاسفة اليونان، وذلك حين رأو "أن الاسم الذي تطلقه على الشيء هو الاسم الصحيح، فإذا استعضنا عنه أتي الثاني صحيحا كالأول"[4].

وكانت المحاورات تحري بينهم فكان سقراط "يمن التفس بتلك اللغة التي تربط بين ألفاظها و مدلولات ما ربطا طبيعيا ذاتيا كتلك الالفاظ المشتقة من أصوات الطبيعة من حفيف وخرير و زفير[5]."

وهكذا فإن هؤلاء الفلاسفة لم يتفقوا على الكيفية التي يكتسب بها اللفظ دلالته ولعل هذا الخلاف مرجعه الإختلاف في تفسيرهم لنشأة اللغة.

من أما بعد أرسطو فنصادف طائفة الفلاسفة سموا بالرواقيون*، جمعهم ميل واحد شكل مدرسة تسمى باسمهم، كان صاحب القيادة فيها، و الزعامة الفكرية الفيلسوف (زينون 300 ق.م)، ومعهم جميعا صار لدراسة اللّغة طابعا مميزا مستقلا، و لكن ذلك كان يتم دائما تحت مظلة الفلسفة، و مما عالجوه هم أيضا قضية الرمز اللغوي، وفق طريقة في المعالجة تشبه تناول المحدثين الغربيين له و تبنوا نظرة بنيت على أساس من المحاكاة الصوتية، أي بناء على رمزية الأصوات، ومشابهتها للأشياء التي تطلق عليها تلك الأسماء كتلك التي لاحظوها بين علامة الجمع في الأسماء و بين فكرة التعدد نفسها، كما يتصورها الإنسان"[6].

---

[1] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، دت، بيروت، ص1 /46.
[2] المصدر نفسه، 1 /46.
[3] المصدر نفسه، ص 46/1.
[4] محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، دار النشر، مكتبة الشهباء، 1969م، سوريا، ص350
[5]. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، دار الأنجلو المصرية، ط4، 1980م، ص63.
[6] روبنز، موجز في تاريخ علم اللغة، ينظر: ص64.

وبعد هذا الغرض المتعلق بقضايا جزئية تفصيلية ذات صبغة دلالية بحثة خاصة قبل هؤلاء الرواقيين، يمكن أن نقول: إن كل ذلك لا يمكن تصوره إلا في الإطار الذي كانت تعالج فيه اللغة عند اليونانيين، وهو إطار قائم على فروع ثلاثة للدراسة اللغوية: فرع البحوث الصوتية و فرع البحوث النحوية، أما الفرع الثالث، وهو الذي يهمنا بشكل خاص و مباشر في هذا المقام، فهو فرع التأثيل، أو الدراسة التأصلية من خلال البحث التاريخي في الألفاظ و دلالتها، و سموه الذي يعرف به اليوم عند الغربيين (etymologie) هذا الفرع الذي عرفه اليونانيون أنفسهم بكونه لا تفتح الكلمات الذي من خلاله تبدو و معانيها الأصلية حلية"[1].

[1] روبنز، موجز في تاريخ علم اللغة، ينظر: ص42-48

*الرواقيون: (Stoïciens) ينتسبون إلى ريتو الفيسوني (ت 244ق.م) ربطو المسائل اللغوية بالفلسفة.

تركيب:

- الصوت في اللغة مأخوذ من أصل صحيح (ص، و، ت) لا هو بجسم ولا هو بصبغة فهو محسوس يدرك بحاسة السمع علم الأصوات هو العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات والحروف ومخارجها.

- تكمن أهميته في أنه يحافظ على اللغة، يسهّل تعليمها وكذا يُسْهم في علاج أمراض الكلام، تعليم الأداء، تعليم الصم، وعلاج عيوب النطق، ويساعد كذلك على تلقين علوم اللغة من نحو وصرف ودلالة....

- كان الهنود أول من درسوا علم الأصوات وقضايا اللغة حيث اتسمت دراستهم بالدقة وكان بانيني أبرز علماء القرن السادس أو السابع اهتموا بعدة قضايا أهمها_ : نشأة اللغة وعلاقة الأسماء بالمسميات حيث تطرقوا في البداية إلى دراسة أصل اللغة فهم يعتقدون أن لغتهم مقدسة أوجدها آندر وهو من ربط الأسماء بالمسميات فلا دخل للإنسان فيها كما أنهم توصلوا إلى الكيفية التي يتولد بها الصوت وينتقل ويتنوع بالإضافة إلى تفريقهم بين الأصوات الطبيعية والبشرية .

- أما اليونان فقد فقد درسوا الصوت في خضم الفلسفة فأدركوا أن الحرف لا يتجزأ، وأنه يدخل في تركيب صوت أعقد.

الفصل الأول:

علم الأصوات العربي النشأة والتحول

- **المبحث الأول:** نشأة علم الأصوات العربي.
  - ✓ الغاية من دراسة علم الأصوات في القديم
  - ✓ علم الأصوات وعلوم العربية المحيطة
  - ✓ جهود العرب القدامى.

- **المبحث الثاني:** علم الأصوات العربي الحديث (التحول)
  - ✓ علم الأصوات الحديث واللسانيات
  - ✓ فروع علم الأصوات
  - ✓ جهود العرب المحدثين

تمهيد:

يعتبر الطرح الذي قدمه العرب القدماء في الدرس الصوتي من أدق الدراسات وهذا بشهادة المستشرقين بالرغم من أنهم لم يجعلوه مستقلا بذاته كما أصبح عليه الآن إلا أن ما جاؤوا به من قوانين ونظريات لا يزال يعمل به حتى في العصر الحديث.

بالرغم مما آلت إليه الدراسات الحديثة وتأثرها بالمناهج اللسانية الغربية ومن هنا نطرح السؤال التالي: كيف درس العرب القدماء والمحدثين علم الأصوات؟

بغرض الإجابة على السؤال التالي قسمنا الفصل إلى مبحثين _الأول: نشأة علم الأصوات العربي، والثاني: علم الأصوات العربي الحديث (التحول).

➢ المبحث الأول: نشأة علم الأصوات العربي.

- نشأة علم الأصوات العربي:

لم يرد عن العرب القدامى أنهم عرفوا الدرس الصوتي كعلم مستقل منفصل عن سائر العلوم العربية الأخرى، لكنهم تناولوا الكثير من مباحثه في ثنايا مؤلفاتم المختلفة، في ميدان التجويد والقراءات والنحو والصرف وغيرها... ممَّا يدل على أنهم قد أدركوا البعد الصوتي في أعمالهم هذه، وفي دارسة اللغة على وجه الخصوص. ويجمع العديد من الباحثين في العصر الحديث على أن "علم الأصوات من الوجهة الإبستمولوجية علم غير مضبوط، بحسب المعطيات التي وجدت في التراث العربي، لأسباب كثيرة منها: خلوه من مبادئ نظرية مؤسسة، وتداخل مسائله في علوم متعددة، وعدم استقرار التأليف فيه مفردا، ولذلك نجد المعطيات الصوتية على اختلافها من باب المعارف لا من باب العلوم"[1].

ويعود فضل السبق في هذا المجال للعلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهو أول من تناول الصوتيات بشكل واضح ومتفرد، "إن لم يشر إلى علم الأصوات عنوانا أو بابا أو جزءا من علمه في المقدمة –مقدمة العين- فقد عرضت المعلومات الصوتية من غير تعيين العلم الذي تنسب إليه"[2] ، والأمر كذلك عند من جاء بعد الخليل...

ولكن المثير للدهشة هو ذلك الكم المعرفي الهام من الدرس الصوتي الذي ورد إلينا، وكذا ثراء المادة العلمية التي وصلتنا عنهم، مما يدفع إلى الإشادة بجهودهم الكبيرة، التي جعلت أحد الباحثين يقول: " أن علم الأصوات كان علما واضح الملامح محدد السمات، وليس أدل على ذلك من أن علم التجويد وهو علم استعمل مصطلحات هي المصطلحات

[1] أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر، ط 1، سنة 2001 ، دمشق، ص 48

[2] المرجع نفسه، ص48.

التي وجدت في المباحث الصوتية التي عرفت عند علماء النحو واللغة. ولولا أنَّ علم التجويد اقتصرت مباحثه على قراءة القرآن لكان في العربية علم الأصوات"[1].

وعلى هذا الاعتبار يمكن القول أن بداياته كانت مبكرة جدا مع نزول القرآن الكريم، الذي أخذ عدة وجوه من القراءة يرجع الاختلاف فيها أحيانا كثيرة إلى جوانب صوتية، ومن المعلوم أن "هذه القراءات نزلت بمكة المكرمة"[2] فكانت معها وجوه الاختلاف الصوتية التي تعتبر البذرة البسيطة لنشأة الدرس الصوتي.

أما عن ظهور مباحثه الأولى، فكان ذلك مع الخليل كما سبق القول "فعلم الأصوات عند العرب واحد من العلوم التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من شرع منهاجا للناس في هذا العلم الذي كانت معطياته موزعة بين معارف لغوية عامة ووجوه إقرائية خاصة، بما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتحقيق لفظه وتجويد نطقه...، وليس بين أيدينا أي دليل يشير إلى أن أحدا تقدم الخليل في هذا المجال، لذلك يعد الخليل رائدا لهذا العلم، كريادته لعلوم اللغة والعروض عند العرب بلا منازع."[3]

ومع الاشراقات الأولى للدرس الصوتي عند العرب، وجد التداخل في مفاهيمه ومصطلحاته التي كانت مختلطة بغيرها من مفاهيم ومصطلحات العلوم الأخرى، "ويفسر ذلك أمران: الأول: تقارب هذه المجالات العلمية، فالخليل سعى إلى تقديم مادة صوتية تصلح أساسا لبناء المعجم مع الأسس اللغوية الأخرى كلما دعت الحاجة إلى ذلك"[4].

وهذا ما أوجد العديد من الموضوعات والمباحث المشتركة بين الدرس الصوتي والنحوي والصرفي، يتناولها كل علم بزاوية النظر الخاصة به.

والأصل في نشأة العلوم أن ترى مباحثها الأولى النور أولا، قبل أن تستقر في صورتها النهائية، وذلك ما كان في الفقه وأصوله، والتفسير والقراءات، وغيرها من علوم العربية والدرس الصوتي مثلها لم يشذ عن هذه القاعدة المطردة.

وبقيت الدراسة الصوتية عند العرب على حالها تقريبا، إلى أن تجسدت في الشكل الذي نعرفه حديثا، وهو صيرورتها علما له مبادئه وأصوله النظرية وقضاياه المتعددة...

أما إذا اعتبرنا أن علم التجويد ما هو إلا علم الأصوات عند العرب فإن بدايته " ومن حيث المصطلح ترجع إلى القرن الرابع للهجرة عند ابن مجاهد والخاقاني ثم ظهر بعد ذلك

---

[1] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط 1، سنة 2000 ، دمشق ، ص15
[2] محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، دار الجيل، ط1 ، سنة 1998 ، بيروت، ج1 ، ص50
[3] أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 42/41
[4] المرجع نفسه، ص48.

من المؤلفات حتى العصر الحاضر الشيء الكثير، مما لا يزال معظمه مخطوطا معروفا، أو تائها مجهولا وربما كان مكي بن أبي طالب القيسي رائد التأليف المنظم في هذا المجال"[1].

إن عدم تحديد الدرس الصوتي أو الصوتيات تحت اسم عند العرب لم يمنع ثراءه وقيمته وغنى مباحثه، فقد ورد في كتب التراث في مجال الدارسة الصوتية الشيء الكثير الغني بالمعلومات والمفاهيم التي لم تعرف في تاريخ الكثير من اللغات إلا في العصر الحديث، ويمكن أيضا الملاحظة أن جل المصطلحات المستعملة عند المهتمين بالدرس الصوتي العربي الحديث إنَّما أخذت من التراث بعد تحديدها وتعريفها ووضعها جنبا إلى جنب مع المصطلحات الأجنبية لإيضاح مفاهيمها ومدلولاتها خاصة عند عملية الترجمة.

فالعلماء العرب القدامى يعدون بهذا المجهود الذي بذلوه المؤسسين الحقيقيين لهذا العلم، وواضعي لبناته الأساسية، ومنظريه الأوائل، ومشرعي مناهجه ومفاهيمه، وهذا خير دليل على سعة تفكيرهم وإدراكهم لمختلف القضايا اللغوية.

1- الغاية من دراسة علم الأصوات في القديم:

يلاحِظ من يتتبع التراث اللغوي العربي القديم بالدرس والتحليل، أن هؤلاء العرب قد قاموا بدراسات كثيرة لأصوات لغتهم عبر تاريخهم الطويل، كانت تزداد فيه نماء وسعة ودقة، وكان كل ذلك منثورا في ثنايا مؤلفاتهم المختلفة، بغية تحقيق غاية تتمثل في الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتّحريف فأي تغيير في المبنى يصحبه تغيير في المعنى خاصة في هذه اللّغة الشريفة إذ يقول حسام البهنساوي: "أدرك العلماء العرب من ثمة أهمية الحفاظ على هذه اللّغة العربية الفصحى بعامة، وعلى أصواتها بوجه خاص. بعدما توسعت رقعة الدّين الإسلامي الحنيف، في أنحاء المعمورة شرقا وغربا، ودخول الأمم العديدة من الأعاجم في دين الله أفواجا فشمر هؤلاء العلماء عن سواعد الجد والاجتهاد، خشية على سلامة هذه اللغة وفصاحتها ونقائها من أن يصيبها خطر اللّحن والانحراف"[2]. فبعد اعتناق الأعاجم الإسلام صار من الواجب تلقينهم العربية لأداء العبادات وكذا تلاوة القرآن الكريم ومن المعروف أن أي خطأ يحرف المعنى خلصة وأن المقصود هنا هو التنزيل المحكم. "كان حرص المسلمين على سلامة الكتاب الكريم ونقاوته حرصا شديدا، واشترطوا على ضرورة أخذه وتلقيه مشافهة عمن يوثق في حفظه من صفات الضّبط والأمانة وحسن الدين"[3] . فاشترطوا غلى من يلقن القرآن أن يكون على دراية تامة باللّغة وبالضبط الصّحيح للقرآن الكريم.

[1] أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 68/67.
[2]-حسام البهنساوي، الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث، مكتبة زهراء الشّرق، ط1، 2005، القاهرة، مصر، ص5.
[3]-نفس المرجع، ص05

أما الهدف الثّاني فكان الحفاظ على اللّغة "فسلامة البناء الصّوتي ونظامه للغة، هو من الأمور الهامة، للإبقاء على استمرارها وديمومتها على مدارها الزّمان"[1]. فالصّوت هو أصغر وحدة في اللّغة والحفاظ على النّطق السليم يؤدي بالضّرورة إلى الحفاظ على اللّغة.

2- علم الأصوات وعلوم العربية المحيطة:

دراسة علم الأصوات قديما تمت في ثنايا علوم أخرى فلم تكن الصوتيات علم قائم بذاته إلاَّ حديثا فمن بين هذه العلوم التي تمَّ ذكر الصوت فيها الصرف النحو المعاجم البلاغة... وفيما يلي نورد أهم العلوم التي اندرج ضمنها علم الأصوات قديما

- **علاقة الصوتيات وعلم الصرف:**

يمكن اعتبار علم الصرف من أقرب علوم اللغة إلى الصوتيات إذ أن كثيرا من المباحث الصرفية تقوم على أساس صوتي رفهي مباحث صرفية صوتية، فإذا كان علم الصرف يدرس بناء الكلمة و ما يعتر بها من تغيرات فإن هذه التفسيرات التي تمس بنية الكمة ذات طبيعة صوتية غالبا كالإعلال و الإبدال و الحذف و الزيادة و الإدغام و الإمالة و الوقف.

يقول كمال بشر: "تلعب الحقائق الصوتية دورا بارزا في تحديد الوحدات الصرفية و بيان قيمتها و لم يكن (فيرث) مبالغا حين قرر ألا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات ذلك أن مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات أو ما يرسمه من حقائق"[2] و هكذا لا تكاد تخلو ظاهرة صرفية تتعلق بالصوت.

"ويكاد بعض الباحثين يقصر الدرس الصوتي على دراسة خصائص المادة الصوتية على هي ما عليه في الطبيعة دون التفات إلى الآليات التي تشغل هذه الأصوات لتؤدي وظائفها التواصلية، وبعضهم يكاد يقصره على البحث في أحكام الصوت اللغوي من حيث المخارج والصفات و السمات الثانوية كالنبر و التنغيم و العلاقات و التفاعلات السياقية. "[3] وكلا هذين الرأيين مبالغ في قصر الدرس الصوتي على جانب دون الآخر إذ أن الصوتيات الصوت بوصفة مادة اللغة الأولى انطلاقا من جوانبه المادية (الفيزيائية)، ومرورا بالجوانب النطقية و السمعية و وصولا إلى وظائفه اللسانية أي يدرسونها كما هي دون الالتفات إلى التغيرات التي تطرأ عليها.

علاقة الصوتيات و علم النحو:

"إذا كان علم الصرف يهتم بناء الكلمة فإن علم النحو يهتم ببناء الجملة حيث نوع العلاقة بين الكلمات فيها و علاقتها بالمعني و في النحو العربي خصوصا تعد علامة

[1]- حسام البهنساوي، الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث، ص05

[2] كمال بشر، علم الأصوات اللغوية، دار غريب، سنة2000، القاهرة، ص606.

[3] سعد مصلوح، دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، 1420ه/2000م، ص12.

أواخر الكلمات ضمن عناصر الجملة قرينة هامة يعتمد عليها في التوصل إلى معاني الجمل و دلالاتها و هذه العلامات هي صوتية (حركات قد تنوب عنها الحروف). و من أهم قرائن التفريق بين الجمل الإثباتية و الجمل الاستفهامية أو التعجبية، التنغيم المصاحب لنطق هذه الجمل و هو مظهر صوتي خالص كما أن الوقف و السكت بين التراكيب و الجمل كثيرا ما يؤدي إلى تبدل المعني بتبدل مواصفة (أي يتبدل مواضع الوقف)."[1] أي أن علم النحو يهتم بدراسة أواخر الكلم من إعراب وبناء.

- **الصوتيات و المعاجم:**

"قد أثمر تمازج علمي الأصوات و المعاجم في تراثنا معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي الذي رتبه وفق مخارج الأصوات واعتمد فيه نظام التقلبات والاحتمالات مختلفة الترتيب أحرف الكلمات محاولا استقصاء المستعمل والمهمل من الكلمات في اللغة الغربية وإن التعمق في دراسته أصواتا أي لغة هو ضرورة ملحة لكل من يروم انجاز معجم متعلق بهذه اللغة."[2] إن التعمق في الدراسة الصوتية للغة من شأنه أن يخدم واضعي المعاجم فتنسيق مواد المعجم وتبويب مداخله يعتمد في الغالب على العناصر الصوتية ثم إن المعجم يفترض فيه أن يوضح النطق الصحيح للكلمة و هذا جانب صوتي .

3- جهود العرب القدامى في مجال الدرس الصوتي:

ترك العرب القدامى ثروة غنية وكبيرة في مجال الدراسة الصوتية، وتعد اللغة العربية من اللغات القليلة التي حظيت بدراسة وافية لهذا الجانب بشكل يكاد يكون كاملا، فيما عدا بعض المباحث التي تركت، والتي لم يكن ممكنا لها أن تظهر في مثل ذلك العصر، وهي تلك التي تتطلب التقنيات المعملية الحديثة في دراستها والأجهزة اللازمة لذلك، والتي لم تكن موجودة آنذاك.

وكثيرا ما يحصل الخلاف بين الباحثين حول أصالة الدرس الصوتي عند العرب القدامى، وعند الخليل خاصة، باعتباره الرائد في هذا العلم، بين من يقول بأصالته وجدته وابتكاره عنهم، وبين قائل بتأثر الخليل بدراسات الأمم السابقة.

"أن بعض الدارسين المحدثين من عرب ومستشرقين ذهبوا إلى تأثر الخليل بصنيع الهنود الذين سبقوا إلى الحديث عن مخارج الأصوات وصفاتها، ومع أن حسم القضية لصالح هؤلاء أو غيرهم ممن يعدون الدرس الصوتي عند العرب منبثقا من معطياتهم، ليس بالأمر المتيسر لنقص الأدلة التي تثبت التأثر أو نفيه"[3]

[1] مسعود بودوخة، محاضرات في الصوتيات، دار النشر بيت الحكمة،ط1، سنة 2013م، كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف2، ص14.
[2] مسعود بودوخة، محاضرات في الصوتيات، ص14.
[3] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 38

يقول محمود السعران وهو يرجح احتمال التأثر: "هل أخذ العرب أصول تصنيف الأصوات ووصفها عن الهنود؟ أو هل تأثروا بهم في ذلك؟ ولا سيما أن ذلك قد ظهر عند العرب دفعة واحدة، وظهر عند سيبويه كاملا، ثم إن دوائر البحور الشعرية التي وصفها الخليل صاحب العروض، نجد شبيها لها عند الهنود من قبل. إن أخذ العرب عن الهنود في الميادين الصوتية واللغوية عامة، أو تأثرهم بهم أمر محتمل نظرا، ولكننا لا نملك من الأدلة ما يدعونا من القطع بأن أخذا أو تأثرا قد حدث في هذا المجال أو ذاك"[1].

ويقول شوقي ضيف عن الخليل: " ويظهر أنه عرف المباحث الصوتية عند الهنود وكانت قد نمت عندهم نموا كبيرا واسعا، وأضاف على ضوئها مادة صوتية غزيرة".[2]

ولكن نفتقد الأدلة المقنعة والكافية عند القائلين بالتأثر، الذي يعتبر احتمالا لا أكثر مما دفع بدارسين آخرين إلى القول بأصالة الدرس الصوتي عند العرب، ويرون جدته وابتكاره عندهم "ولهذا فإن ما وصل من نتائج في حقل الدراسات الصوتية عند علماء العربية، يعد سبقا كبيرا جدا، إذا ما قورن بكثير من الحقائق التي لم يتوصل فيها إلى وضوح إلا مؤخرا، بالاستعانة بالتطور العلمي المطرد".[3]

وقد كان ذلك نتيجة لأسباب خاصة وجدت عند العرب، ف "هناك أصلان لهذا الدرس الصوتي انبثق منهما... وهما اللغة ومعارفها، والقراءات القرآنية ووجوهها الصوتية"[4].

"إن الدارس يرى أن ما جاء به الخليل متفق وعبقرية هذا الرائد الذي أقام صرح الدرس اللغوي والنحوي عند العرب، وشقق مسائله، وابتدع أصوله، ومنسجم والبيئة الحضارية الناهضة التي شاع فيها الابتكار عصرئذ شيوعا واسعا"[5]

ومع قصر الفترة الزمنية التي نشأ فها الدرس الصوتي وتطور، إلا أن أنها كانت كافية لجعله ثريا، عميقا ومهما " إننا نرى أن الدرس الصوتي فاق بسعته، وعمقه، وتعدد مجالات درسه، وتطبيقه، ما عرفه علماء اللغة حتى العصر الحديث"[6]

ولم تكن فائدته محصورة في دارسة اللغة وأصواتها فقط " بل صار وسيلة لفهم التغيرات الصرفية كالإدغام والإبدال ونحوها عند تلميذه – تلميذ الخليل – سيبويه، كما صار الأساس النظري المحكم لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، هذا إلى كونه حظي باهتمام البلاغيين ودارسي الإعجاز".[7]

ولا يمكن تجاهل مساهمات القراء في تطوير الدرس الصوتي عند العرب قديما، فقد قدموا عملا معتبرا في ذلك ب "إضافة تفصيلات صوتية إلى ما أثر عن الخليل وسيبويه،

[1] محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، ط 2، سنة: 1997، القاهرة ص 81
[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، ط 8، سنة 1998، القاهرة، ص 32
[3] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص51.
[4] أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 64
[5] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 38
[6] المرجع نفسه، ص38.
[7] المرجع نفسه، ص 39

فهم قد سعوا إلى وصف تلاوة القرآن الكريم حسب القراءات المختلفة، فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية، ووضعوا رموزا كتابية تمثل هذه الخصائص."[1]

واستفاد البلاغيون أيضا من معطيات الدرس الصوتي في خدمة علومهم، فهم مثلا "عرضوا لفصاحة الكلمة بحسب المخارج، وائتلاف الحروف، لبيان حسن التأليف وقبحه"[2]

واستفاد القراء وأهل التجويد أيضا، بل هم أكثر العلماء استفادة، وما كان ظهور علم التجويد إلاَّ: "نتيجة لتظافر القراءات من جهة، والدرس الصوتي من جهة أخرى"[3]

وفي معرض الحديث عن جهود العرب القدامى في خدمة الدرس الصوتي، يذهب كمال بشر إلى أكثر من ذلك، فهو يرى أن العرب القدامى أدركوا حتى الجانب الفيزيائي في الدرس الصوتي شيئا ما، مع انعدام وسائل دراسته في مثل ذلك العصر، فهو يقرر بعد أن نقل أقوالا للقدامى لإثبات هذا الرأي "وهي في جملتها تؤكد ما أردنا إثباته، وهو أن للعرب في القديم دراية بالجانب الأكوستيكي للأصوات"[4]

ويقول أيضا: " إن جل المصطلحات والأقوال الصادرة عن علماء العربية في سياق الكلام عن الجانب السمعي للأصوات، تنبئ دون شك عن إدراكهم للجانب الأكوستيكي كذلك"[5]

"ومما يؤكد براعتهم ونبوغهم في هذا العلم، أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة، دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث والدراسة، كما نفعل نحن اليوم".[6]

قسّم القدامى مخارج الأصوات العربية إلى:

. أقصى الحلق: وهو، أ، هـ.

. وسط الحلق: وهو، ع، ح.

. أدنى الحلق: وهو، غ، خ.

لكن ابن سينا كان له رأي آخر في اتجاهه غير هذا التقسيم بما يوافق الدرس الحديث، إذ ذهب إلى أن الهمزة والهاء من مخرج الحنجرة، لكنه لم يلق رواجاً أنذاك، واشتهر هذا التقسيم الثلاثي للحلق.

. أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وهو: ق.

---

[1] محمود السعران، علم اللغة، ص 82
[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص15
[3] أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، ص 67
[4] كمال بشر، علم الأصوات، ص 123
[5] المرجع نفسه، ص 129
[6] عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، سنة 1979، ص 135

. أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى، وهو: ك.

. وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ، وهو : ج ، ش ، ي .

. بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس ، وهو ض

. حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا ، وهو : ن.

. مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام.

. وهو : ر .

. بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وهو: ط ، د، ت.

. بين طرف اللسان وفويق الثنايا، وهو: ز ، س، ص.

. بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وهو: ظ، ذ، ث.

. باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى ، وهو: ف.

. بين الشفتين ، وهو : لب ، م ، و.

. الخياشيم مخرج النون الخفيفة. وهي الغنة التي تصاحب التنوين والميم والتي تخرج من الخياشيم.

. أحرف الجوف : وهي ، أ، ي، و، سماها ابن سينا الأصوات المصوتة ، فكان له السبق في ذلك في الدرس الصوتي القديم، إذ فرق بين الصامت والمصوت في هذه الأحرف ، وذكر أبرز خواصها وهو إطلاق الهواء عند النطق بها سلسا غير متزاحم، وقال: إن الألف مخرجها من الجوف ؛ لأنه قال: وأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلساً غير متزاحم "، من دون أن ينسبها إلى أي مخرج، أما الواو، فذهب إلى أن مخرجها من مخرج الواو الصامتة ولكن مع أدنى تضييق له، قال: "فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق"، وأما الياء، فقال: "أظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل. أما المصوتات القصيرة، فلم يفته الحديث عنها، إذ قال: إن الفتحة أخت الألف والواو أخت الضمة والكسرة أخت الياء، وهن من نفس مخرج أخواتهن، غير أنهن أقصر زمنا منهن، والتي لم ينسبها سيبويه إلى أي مخرج. إذ لم يعد الجوف مخرجاً، لذا استبعدها في العد. أمَّا الخليل فقد عد الجوف مخرجاً ولكنه استبعد الخياشيم. وبهذا أسسوا في الأصوات ستة عشر مخرجاً كان لها عشرة مسميات نسبة إلى مخارجها، وهي:

ـ أحرف الجوف، وهي: أصوات المد الثلاثة، الألف المفتوح ما قبلها، والياء المكسور، قبلها، والواو المضموم ما قبلها. فتسمى جوفية، لأن فيها من الاتساع والليونة مالا يكون في ما مثيلاتها من الصوامت.

ـ أحرف الحلق، وهي الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، فتسمى حلقية. غير أن ابن سينا جعل الخاء من مخرج اللهاة، وجعل الغين أخرج من ذلك، وجعل الكاف من مخرج الغين.

ـ أحرف اللهاة، وهي حرفا القاف والكاف لهما مخرجان متقاربان متتاليان من اللهاة. فتسمى لهوية.

ـ أحرف الشجر، وهي الجيم والشين والياء اللينة، وهي الياء الساكنة المفتوح ما قبلها. فتسقى شجرية.

ـ أحرف الذلق، وهي النون واللام والراء، ولكل منها مخرجها من ذلق اللسان وهو طرفه، فتسمى ذلقية.

ـ أحرف النطع، وهو السقف الأعلى للحنك، وهي الطاء والدال والتاء، فتسمى نطعية.

ـ أحرف أسلّة اللّسان، وهي ما دق منه، هي الصاد والسين والزاي، فتسمى أسلية.

ـ أحرف اللثة، وهي الظاء والذال والثاء، ومخرجها قرب اللثة، فتسمى لثوية.

ـ أحرف الشفاء، وهي الفاء والباء والميم والواو الساكنة المفتوح ما قبلها، فتسمى شفوية أو شفهية.

ـ أحرف الخيشوم ، وهي الغنة التي تصاحب النون والميم الساكنتين والتنوين عند الإدغام في قراءة القرآن الكريم، والقليل منها تصاحب النون والميم المتحركتين.

نستخلص في الأخير أن العرب القدامى قد قطعوا في درسهم الصوتي أشواطا كبيرة، بدراستهم لجل المحاور الأساسية للدرس الصوتي المعروفة بشكل متفاوت، يرجع إلى عدم توفر ما يعينهم على بعض الجوانب الأخرى كالآلات والتقنيات الحديثة.[1]

[1] عفاف الطاهر شلغوم، مخارج الاصوات بين القدامى والمحدثين، المجلة الجامعة، المجلد الثاني العدد17، أغسطس2015، جامعة الزاوية، ينظر: ص56-59.

➢ المبحث الثاني: علم الأصوات العربي الحديث (التحول).

1- علم الأصوات الحديث واللسانيات:

أسفر ظهور اللّسانيات على تطور الصّوتيات حيث طبق عليها المنهج التّجريبي بعد أن كانت مبنية على الملاحظة. "تحولت الصّوتيات من طورها الأول أو التّاريخي إلى طور الصّوتيات العامة التّي هي فرع من اللّسانيات يختص بدراسة أصوات اللّغة من حيث تحقيقاتها الملموسة لا من حيث وظائفها اللّسانية"[1]. فبعد أن كانت فرعا من فروع اللّغة أصبحت علما مستقلا بذاته فطبق عليها المنهج الوصفي الآني وانتقلت من الملاحظة ألى التجارب داخل المخابر."أدى تطبيق المنهج التّجريبي إلى ابتعاد الصوتيات عن اللغة واقترابها إلى العلوم التّجريبية كالفيزياء كان لزاما عليهم أن يبحثوا عن كيفية أخرى غير المخابر وقد تحقق هذا في مؤتمر لاهاي سنة 1928 من خلال ما قدّمه الثلاثي الروسي جاكبسون، كارفسكي، وتروبسكوي، فأطلق على هذه المادة الجديدة اسم الفونولوجيا وحدّدت مهامها على مستويين أولا أبحاث وصفية تتعلق بدراسة نظام الأصوات للغة ما في زمن معين من تطورها، وأبحاث تاريخية تهتم بتطور نظام الأصوات عن طريق ديناميكية اللغة الدّاخلية . وهذا كان برجوعهم إلى ثنائية (اللّغة والكلام) لدي سوسير وإلى قوله في اللّغة لا توجد سوى الاختلافات، كما ميّزوا بين مصطلح الفونيتيك والفونولوجيا فالأولى يقصد بها الدّراسة التّطورية للأصوات والثانية لا تستعمل إلا في المعنى الذي منحه جاكبسون"[2] .

ساهمت اللّسانيات وبشكل كبير في تطور الصّوتيات الحديثة وتحولها من التّأريخ وإخراجها من دائرة ضيّقة لتصبح علما مستقلا بذاتها وبذلك بتطبيق مناهج جديدة عليه أبرزها كان المنهج التّجريبي وكذا الوصفي. ومن هنا ولدت الفونولوجيا والفونيتيك.

ماذا قدمت اللسانيات للصوتيات؟

1-مبدأ الشمولية:

"انطلاقا من مبدأ الشمولة العلمية، فقد حاول أعضاء هذه المدرسة إدخال الصّوتيات في إطار اللسانيات بابعادها عن الأشياء الفردية المتعلقة بالكلام وإدماجها في الدّراسات العامة للغة، وهكذا فإن كانت الصّوتيات عبارة عن دراسة أصوات النّطق لا غير، فإنّ الفونولوجيا تظهر كدراسة لأصوات اللّغة كما يوضح ذلك الرسم البياني المقترح من طرف تروبسكوي في كتابه مبادئ الفونولوجيا "[3].

---

[1]-زبير دراقي، محاضرات في اللّسانيات التّاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، الجزائر، ص84.
[2]- المرجع نفسه ، ينظر ص-85-84.
[3]- المرجع نفسه، ص85.

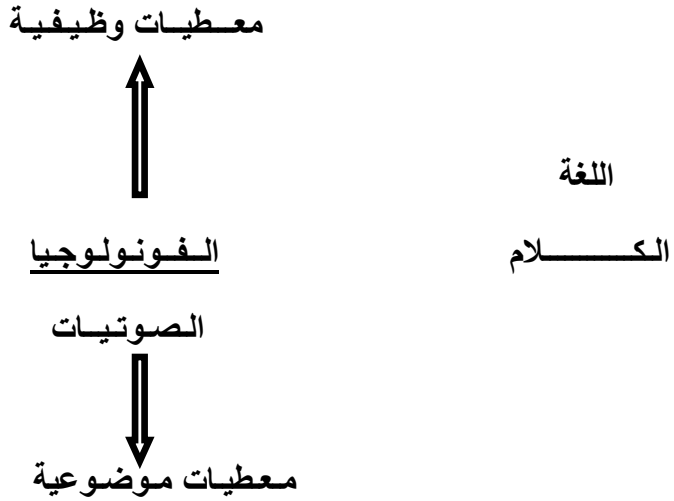

مخطط تروبسكوي يوضح الفرق بين الفونولوجيا والفونيتيك

-المنهاج: "بما أن دراسة أصوات اللغة دراسة ايجابية ومن نوع خاص تكاد تعد من الأمور المستحيلة لكونها، وعلى خلاف الصوتيات، لا تعتمد على أشياء مادية يمكن تحليلها وقياسها بفضل تقنيات المخابر الحديثة: فقد استند الفونولوجيون إلى منهجية السلبية لاستخراج ما ليس في الأصوات ولتصنيفها فيما بعد"[1] . فالعلوم الانسانية بصفة عامة وعلوم اللغة بصفة خاصة تفتقر الدّقة لأنها غير قابلة للقياس عكس الأصوات التي أصبحت قابلة للتحليل في المخابر."كما استعانوا أيضا بمعيار (المعارضات الوظيفية) اعتقادا منهم أنّ نظام اللّغة لا يعير اهتماما للصواتم الاّ على أساس الوظائف التي تقوم بها، وكذا الاختلافات التي تظهر بالموازاة مع الاختلافات الدّلالية"[2] .تقوم المعارضات الوظيفية على وظائف الأصوات في اللّغات واختلافاتها الدّلالية.

التّحليل الوظيفي: "يعتبر التحليل الوظيفي أهم عنصر في الدراسة الفونولوجية ولن يتم هذا إلا بعد عزل وإحصاء كل الوحدات الصّوتية للغة ما في مرحلة الوصف التّجزيئي"[3]. أي جمع وتحليل الأصوات والتعرف خصائصها وطبيعتها عن طريق الدراسة والملاحظة.

2- فروع علم الأصوات:

يعمد جل الدارسين في مجال الصوتيات إلى تقسيم هذا العلم بحسب ترتيب أحداث عملية إنتاج الكلام ومساره وتلقيه – بغض النظر عما يرافق هذه العملية من أحداث نفسية وعقلية في ذهني المتكلم والسامع- هذا التقسيم يستنتج من الشكل التالي:[4]

[1]- زبير دراقي، محاضرات في اللّسانيات التّاريخية والعامة، ص87.
[2]-نفس المرجع،ص87.
[3]-نفس المرجع،ص87.
[4] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، سنة: 1997، القاهرة. ص 45

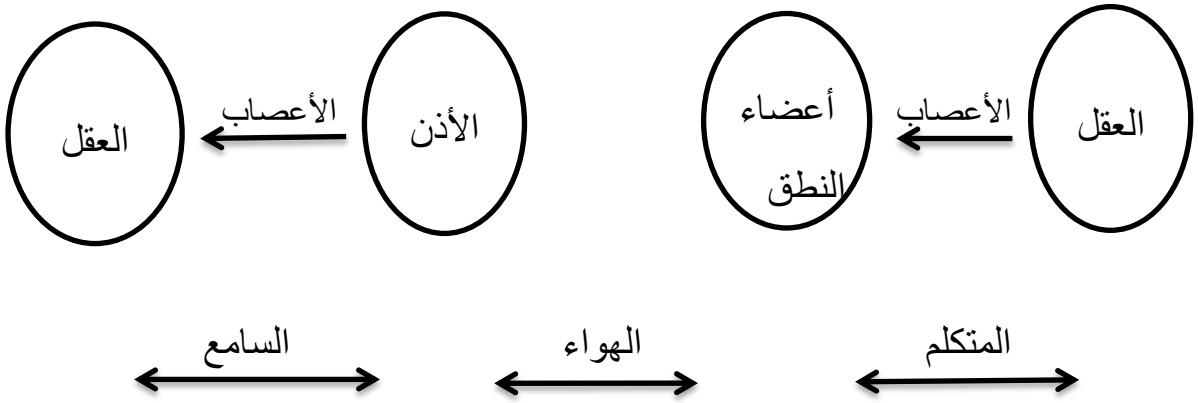

فإذا نظرنا إلى الأصوات اللغوية باعتبارها مادة منطوقة تنتقل من متكلم إلى سامع، فإن ذلك يتطلب منا تفريع الصوتيات: "إلى ثلاثة فروع هي: علم الأصوات النطقي، علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي، وعلم الأصوات السمعي، ولكل خصائصه ومجاله"[1] إذن فابعتبار الصوت مادة تنتقل من مرسل (متكلم) إلى مرسل إليه (سامع) يقسم حسبها علم الأصوات إلى ثلاث فروع، غير أن كثيرا من الدارسين يضيفون فرعا رابعا لما سبق، لا يختص بدراسة مرحلة محددة من مراحل إنتاج الكلام، وإنما يقدم يد العون والمساعدة إلى الفروع السابقة بما يتيحه من إمكانيات علمية وتقنية، تساعد على الوصف الدقيق للصوت اللغوي، هذا القسم "يخضِع نتائج ما توصلت إليه الفروع الثلاثة الأولى للتجريب والتوثيق، بواسطة الآلات والأجهزة الصوتية، ومن ثم سمي هذا الفرع علم الأصوات المعملي أو التجريبي أو العملي"[2]. هذه الفروع تخضع للتجارب في المخابر والمعامل وفيما يلي سنبيّن أهم اهتمامات علم الأصوات.

- **أولا: الصوتيات النطقية Articulatory phenotic:**

أول فرع للصوتيات هو ما يعرف عندنا حديثا بالصوتيات النطقية، وهو يدرس "نشاط المتكلم بالنظر في أعضاء النطق، وما يعرض لها من حركات، فيعين هذه الأعضاء، ويحدد وظائفها، ودور كل منها في عملية النطق، منتهيا بذلك إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم."[3] يهتم بدراسة أعضاء النّطق ومخارج الأصوات ويحدد الآلية التّي يحدث من خلالها الصّوت.

فمجال بحث هذا الفرع دراسة جهاز النطق وأعضائه، وما يطرأ عليها من تغيرات وتحولات أثناء الكلام مع مختلف الأصوات اللغوية، وبشكل أدق فإن الصوتيات النطقية

[1] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 45
[2] المرجع نفسه، ص8.
[3] المرجع نفسه، ص46

"تدرس الأصوات اللغوية من حيث المخارج والصفات".[1] فهذا العلم يدرس بشكل أدق مخارج الأصوات وصفاتها.

تبين دراسة المخارج المواضع التشريحية التي يتم في مستواها إنتاج الصوت اللغوي، وتعين جملة خصائصه التي تميزه عن غيره من الأصوات الأخرى. هذه المخارج لا يمكن أن نكتفي بدراستها حال سكونها، أي كونها أعضاء تشريحية في جهاز النطق فقط، بل أيضا حال الكلام وهي تقوم بحركات معينة وتتمثل أوضاعا عديدة بما يفسر "عملية إنتاج الأصوات اللغوية وطريقة هذا الإنتاج"[2] يهتم بدراسة مخارج الأصوات والتغيرات التي تحدث عل مستوى الجهاز النطقي.

ورد في معجم اللسانيات عند الحديث عن دور وأهمية الصوتيات النطقية في "وتصنف الأصوات عادة على أساس اعتبارين: اعتبار عضوي وفسيولوجي: التصنيف يتمثل في مكان الصوت أو مخرجه، واعتبار صوتي يتمثل في طبيعة الصوت أو الصفة التي يظهر بها في طريقة النطق".[3] يكتسي أهمية بالغة في الدرس اللساني عامة، تتجلى في مختلف المعايير التي يمدنا بها لغرض استعمالها في تصنيف الأصوات، نذكر منها المعيارين العضوي والصوتي، وهما يرتبطان مباشرة بمخارج الأصوات وصفاتها.

وعندما نعيد النظر في الشكل السابق، نلاحظ أن هذا الفرع من الدراسة يهتم بالمرحلة الأولى من إنتاج الكلام.

- **ثانيا: الصوتيات الفيزيائية Acoustic or physical phonetics:**

يبدأ مجال الصوتيات الفيزيائية حيث انتهى مجال النطقية، وتعرف على أنها: "فرع يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلى السامع".[4] وهي المرحلة الثانية من المراحل التي يمر بها الصوت اللغوي، والتي يكون فيها أمواجا ميكانيكية تتذبذب في الهواء، نتمكن من دراستها وتحليلها باستعمال التقنيات العديدة التي تتيحها الصوتيات التجريبية (المعملية) بواسطة "أجهزة علمية خاصة لقياس صفات هذه الأصوات فيزيائيا"[5]. والتي نتمكن بواسطتها من وصف دقيق للصوت المدروس، وتتم دراسة الأصوات فيزيائيا عندما نقوم بتحليل "الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء، بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز، ومعنى ذلك أن وظيفته –علم الأصوات الفيزيائي- مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع، بوصفها الميدان الذي ينتظم مادة

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 44
[2] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص 19
[3] سامي عياد حنا وكريم حسام الدين ونجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان. ص 103
[4] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص19.
[5] سامي عياد حنا وكريم حسام الدين ونجيب جريس، معجم اللسانيات الحديثة، ص 104.

الدراسة فيه، وهي الذبذبات والموجات الصوتية"[1]. يدرس الذبذبات الصوتية والاهتزازات التي تنتشر في الهواء.

هذا الفرع من البحث حديث الوجود نسبيا قياسا إلى سابقه، الذي ظهر منذ زمن بعيد عند الهنود والعرب... وغيرهم، ويمكن القول أن ظهوره كان نتيجة طبيعية للتطور العلمي والتقني الكبير الذي انطلق في بداية القرن التاسع عشر، حتى وصل إلى ما وصل إليه في هذا العصر.

وقد قدم– ولا يزال يقدم- الخدمات الجليلة للدرس الصوتي بمختلف جوانبه، بتشخيصه الدقيق للأصوات اللغوية، معطيا بذلك معلومات وافية عنها للمهتمين بالدراسات اللسانية عامة، وهي كثيرا ما تستخدم في مجالات بعيدة حتى عن طبيعة الدرس اللغوي واهتماماته، ويرى العديد من الباحثين في العصر الحديث أن آفاقه تَعِد بالكثير إذا ما حظي بالعناية اللازمة والدرس الكافي.

- **ثالثا: الصوتيات السمعية Audiotory phonetics :**

يختلف اللغويون حول هذا الفرع اختلافا بينا، حيث يرى بعضهم إدراجه ضمن أقسام الدرس الصوتي، في حين يعتقد البعض الآخر عدم جدواه وإفادته في الموضوع.

واللغويون الذين يدرجونه، يحددون مجاله ابتداء من أعضاء السمع عند المتلقي، وما يحدث لها عند فعل الصوت فيها، من عمليات فيزيولوجية وعصبية وغيرها، وهذا الفرع على وجه التحديد "يدرس عملية إدراك الفروق لأصوات الكلام، مثل إدراكه للفروق أو الاختلافات في النطق، مثل الفرق المسموع عند نطق صوت الباء (b) كما في كلمة (tibr) وكلمة (sabt)، وللفروق الأخرى في نوعية نطق الصوت، في مثل الفرق بين صوت اللامين في قولنا: وبالله: (billa:h) الله: (alla:h)"[2]. أي أن عملية الإدراك هذه، تحددها مختلف التغيرات التي تحدث في جهاز السمع، عند وصول الذبذبات الصوتية المسموعة إليه.

وتحقيقا لما يسعى إليه هذا الجانب من الدرس الصوتي، فإنه يبدأ بدراسة جهاز السمع عند الإنسان، ويحلل العملية السمعية، ويوضح ماهية الإدراك السمعي، وأثره في وصف الأصوات.

وقد قل البحث في هذا الفرع من الدرس الصوتي "ويرجع السر في عدم اهتمام هؤلاء الباحثين بهذا الفرع، إلى وجود صعوبات جمة في طريق غير المتخصصين تخصصا يكفل الوصول إلى نتائج علمية صحيحة، من هذه الصعوبات كما يرى بعضهم احتواء هذا الفرع على ميدان ينتظم عمليات نفسية معقدة لا تدخل – في حقيقة الأمر- في مجال البحث اللغوي

[1] كمال بشر، علم الاصوات، ص49.
[2] سامي عياد حنا وكريم حسام الدين ونجيب جريس ، معجم اللسانيات الحديثة، ص104/103.

بمعناه الاصطلاحي".[1] ويخالف هذا الرأي ويعارضه بشدة أحمد مختار عمر، الذي يرى أنَّ لهذا الفرع من الصوتيات أهمية كبيرة، وعلى هذا الأساس يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند الدارسين ، وذلك "لأن أهمية دور السامع في العملية الكلامية لا تقل أهمية عن دور المتكلم"[2]، وقد أفرد له فصلا خاصا في كتابه لهذا السبب.

- **رابعا: الصوتيات المعملية (التجريبية) instrimental or laboratory phonetics:**

يعرف هذا الفرع من الصوتيات بأنه "الدراسة الصوتية التي تعتمد على استعمال الأجهزة والآلات"[3]، فهو لا يتناول الصوت بالدراسة في مرحلة معينة من مراحله، كما هو الشأن بالنسبة للفروع الأخرى، وإنما يلعب دور المساعد لهذه الأخيرة، بما يتيح لها من أساليب علمية وآلات دقيقة تستعملها لأجل الوصول إلى الوصف الحقيقي والدقيق للأصوات وما يتعلق بها.

تعتمد الصوتيات النطقية والفيزيائية بشكل أساسي على هذا الفرع، فالذي يدرس مخارج الأصوات مثلا، لا يستطيع الاستغناء عن العديد من أجهزة المعمل الصوتي لتحديد هذه المخارج، وذلك المنوط بهذا الفرع، والأمر كذلك بالنسبة للفيزيائية. وفي بيان أهميته والحاجة إليه، يقول الدكتور كمال بشر "من الجدير بالذكر أن هذين الفرعين كلاهما-يقصد النطقي والفيزيائي- يعتمدان الآن أشد الاعتماد على فرع ثالث للأصوات متمم لهما، ولا يمكن السير في أحدهما وبخاصة علم الأصوات الفيزيائي بدونه، إذا كان لنا أن نحصل على نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها"[4].تكمن أهميته في أنّ نتائجه دقيقة وذلك لأنّه يعتمد أساسا "على إجراء التجارب المختلفة بوساطة الوسائل والأدوات الفنية في مكان معد لذلك، يسمى معمل الأصوات، وهذه الأجهزة منها ما يخدم علم الأصوات النطقي، ومنها ما يستخدم في دراسة الجانب الفيزيائي للأصوات".[5]

لقد بات من الضروري أن لا نكتفي في دارساتنا اللغوية بما اكتفى به القدماء ولهم عذرهم في ذلك، وإنما علينا أن نستعمل أقصى ما يتاح من هذه الإمكانيات الحديثة في خدمة الدرس اللغوي.

من هذا المنطلق نشأت الصوتيات المعملية، وبدأت تخطو خطوات واسعة في خدمة الدرس الصوتي، وهي في الوقت الحاضر تقوم " بأدوار حيوية خطيرة، لا في مجال الأصوات وحدها بل في ميادين كثيرة ذات صلة بالإنسان وحاجاته المباشرة، كما يظهر ذلك مثلا في تقديم العون للمشتغلين بالصوت الإنساني في أية صوره، وللمهتمين بعلاج

[1] كمال بشر، علم الاصوات، ص44.
[2] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص45
[3] المرجع نفسه، ص54
[4] كمال بشر، علم الاصوات، ص55
[5] كمال بشر، علم الاصوات، ص56/55.

عيوب النطق والصمم"[1] ، فهذا الفرع يدر الأصوات من الناحية الطبية والأرطوفونيا حيث يهتم بمعالجة عيوب النطق التي في غالبها تكون ناتجة عن خلل عصبي أو الصمم...

وبقدر ما ندرك مكانة هذا الفرع وأهمية النتائج القيمة التي يمدنا بها، والآفاق المستقبلية الواعدة له، نقتنع بضرورة الاعتناء به، والبحث فيه ما أمكن ذلك، خدمة للدرس اللغوي عامة وللغة الضاد خاصة.

3- جهود العرب المحدثين:

حظيت الدّراسات الصّوتية الحديثة باهتمام واسع منذ بداية القرن العشرين وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وأولوها اهتماما خاصا فأصبحت تجريبية معملية بعد ظهور الكثير من الآلات والاختراعات الحديثة "وكان لظهور الأجهزة الإلكترونية وأجهزة قياس الأطياف، وراسم الذبذبات والمرشحات الصّوتية وغيرها أثر كبير في الوصول إلى النتائج الدّقيقة، والحقائق الصّوتية الجديدة"[2]. فانتقل علم الأصوات من الملاحظة إلى التّجربة فأضحت نتائجه دقيقة.

تتمثل هذه الاجهزة في ثلاث أنواع:

- الآلات الأكوستيكية
- الألات الفيسولوجية
- آلات إنتاج الأصوات الصّناعية

تتمثل أهم الجهود الصوتية عند المحدثين في:

1- تقسيم الأصوات إلى صوامت وحركات:

الصّوائت:

يعرفها عصام نور الدين في قوله: "إنّ الصّوائت هي الأصوات الخالية من الضّجيج، لأن الصّوائت في الكلام الطبيعي هي الأصوات المجهورة التس لا يصطدم هواء الزفير حال النطق بها بأي حاجز أو عائق فالصّوائت كلّها مجهورة غير مهموسة"[3]. فالصّوائت كلها أصوات مجهورة غير مهموسة.

وتتمثل الصوائت العربية في: الفتحة والكسرة والضّمة. وحروف المد واللين وهي الألف المسبوقة بفتحة، والواو المسبوقة بضمة والياء المسبوقة بكسرة.

فالصّوائت تتميز عن غيرها بطريقة النّطق، ففي التّلفظ بها يمر الهواء بسلاسة عبر جهاز النّطق .عكس الصّوامت . فالصّامت " صوت يتوقف الهواء في نطقه عن الجريان توقفا تاما نتيجة إقفال الحنجرة أو قناة الفم أو ينحرف عن خط الوسط في قناته إلى فتحة جانبية أو

[1] كمال بشر، علم الاصوات، ص7.
[2]- حسام البهنساوي، الدّراسات الصّوتية عند العلماء العرب والدّرس الصّوتي الحديث، ص15.
[3]-عصام نور الدّين، الأصوات اللّغوية، دار الفكر اللّبناني، ط1، 1992، بيروت، لبنان، ص196.

يجعل أحد الأعضاء التي فوق الحنجرة تتذبذب"[1]. فالصامت إذن هو كل صوت ينقطع فيه الهواء عند أحد أعضاء النّطق.

اختلفت هنا التّسميات حيث نجد فريقا يفضّل مصطلح الصّوائت والصّوامت consonants-vowels، وفريقا يفضّل السّواكن والعلل voicoid-contoid ."تتميز السّواكن بنطق مقارب ، عن طريق عضو أو أعضاء، لطريقة تعوق تيار الهواء، أو من ناحية أخرى، تسبب احتكاكا مسموعا"[2]. فعند نطق السّاكن يحبس الهواء مما يسبب احتكاكا مسموعا مع جهاز النّطق.والعلة" فإنّها تتميّز بنطق مفتوح وغياب أي عائق، كما تتميز بأنّها مصوتة رنانة أكثر من السّواكن"[3] فالعلل تتميّز بأنها رنانة هوائية لا تسبب أي احتكاك.

يرى عصام نور الدّين :"أنّ الصّوامت تحدد طبيعتها حسب مخرج الصّوت ودرجة انفتاح الآلة المصوتة أو إقفالها، والأحداث التّي ترافق اجتياز الصّوت، لهذه العوائق وتقدّر مدّة النّطق وتكون الصّوت في بعض الفراغات الرّنانة كتجويف الحلق، وتجويف الفم والتّجاويف الأنفية"[4] فالفرق بين الصّوامت والصّوائت يحدد حسب مدة النّطق ومدة انحباس الهواء.

حسب ما سبق يتبين لنا الفرق بين الصّوائت والصّوامت يكمن في النّقاط التّالية:

1- الصّوائت كلها مجهورة في الكلام ، أمّا الصّوامت فمنها ما هو مجهور ومنها ما هو مهموس .

2- كلّ صوت حصل له اعتراض جزئي أو تام في مجرى الهواء محدثا احتكاكا يعد صوتا صامتا.

3- كل صوت لا يحدث احتكاكا صوت صائت.

- **المقاطع الصّوتية:**

المقطع الصّوتي كما عرّفه رمضان عبد التّواب: "هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللّغة موضوع الدّراسة، ففي اللّغة العربية مثلا، لا يجوز الابتداء بحركة ولذلك يبدأ كلّ مقطع فيها بصوت من الأصوات الصّامتة"[5] ، فهو كمية صوتية تبدأبساكن وتنتهي بحركة مثل "با".

يورده جان كانتينو: "إن الفترة الحاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التّصويت سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا هي التّي تمثل المقطع"[6]. فالمقطع يقصد به الفترة الحاصلة بين النطق والتّوقف. ويعرّفها تمام حسان بأنّها "تعبيرات من نسق منظم من الجزيئات التّحليلية، أو خفقات صدرية في أثناء الكلام أو وحدات تركيبية أو أشكال وكميات معينة"[7] نسق صوتي منظم يحدث بفعل حبس الهواء أثناء الكلام وبكميات متفاوتة.

أنواعه:

---

[1]-تمام حسان مناهج البحث في اللّغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دط، 1986، الدّار البيضاء، ص67-ص68.

[2]- أحمد مختار عمر، دراسة الصّوت اللغوي، ص113.

[3]- المرجع نفسه، ص113

[4]- المرجع نفسه، ص97.

[5]رمضان عبد التّواب، التّطور اللّغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة المدني ، دط، 1983، القاهرة، مصر، ص94.

[6]- جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي، نشريات مركز الدّراسات والبحوث الاقتصادية، 1966، تونس، ص191

[7]-تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، ص138.

"المقاطع الصّوتية نوعان: متحرك open وساكن closed والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أما المقطع السّاكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن، فالفعل الماضي الثّلاثي فتح يتكون من ثلاثة مقاطع متحركة "[1]

المتحرك: ينتهي بحركة مثل الفعل ذهب

الساكن: ينتهي بساكن مثل بيع.

يتكون المقطع من اتحاد صامت أو نصف صائت، أو أكثر بصائت واحد، وهو نوعان المقطع المفتوح الذي ينتهي بصائت طويل أو قصير، والمقطع المغلق الذي ينتهي بصامت أو بنصف صائت.

وفيما يلي نورد أمثلة عن المقاطع حيث بأنواعها الخمسة:

المقاطع المفتوحة:

صامت+صائت قصير مثل بُ الصامت الباء والصّائت القصير الضّمة.

صامت+ صائت طويل مثل لا الصامت ل والصائت الطّويل ألف اللين.

المقاطع المغلقة:

صامت+ صائت قصير+ صامت مثل: من.

صامت+ صائت طويل+ صامت مثل: باب.

صامت +صائت قصير +صامت+ صامت مثل بنت.

- **مخارج الأصوات عند المحدثين:**

قسم المحدثون الأصوات إلى عشرة مخارج، وهي:

-الأصوات الشفوية: وهي الباء والميم والواو، يخرج الهواء من الرئتين سلسا مارا بالفم وصولا بالشفتين فيجد الهواء عائقا عندها فتكون موضعها.

-الشفوية الأسنانية: وهي صوت الفاء، ويخرج من بين أطراف الثنايا العليا والشفة السفلى، تنفرد بهذا المخرج.

-الأسنانية: وهي الثاء، الذال، الظاء، وتكون بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلية.

-الأسنانية اللثوية: وهي الدال، التاء، الضاد، الطاء، الزاي، السين، الصاد، وتكون بوضع مقدمة اللسان بين اللثة وأصول الثنايا العليا.

-اللثوية: وهي اللام، الراء، النون، وتكون بوضع طرف اللسان على اللثة العليا.

-الغارية: وهي الشين، والجيم، والياء، وتكون بارتفاع وسط اللسان إلى الغار.

[1]- إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ينظر ص160-161.

-الطبقية: وهي الكاف، الغين، الخاء، وتكون بارتفاع مؤخرة اللسان إلى الطبق الرخو.

-اللهوية: وهي القاف فقط، ويكون عند ارتفاع مؤخرة اللسان تجاه اللهاة.

-الحلقية: وهي العين، الحاء، وهما يتكونان من تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق.

-الحنجرية (الوتران الصوتيان): وهي الهمزة، والهاء، ويكونان بإطباق الوترين الصوتيين في الهمزة، وتضيقهما في الهاء.

أما الصوائت، فهي الحركات الستة، وقد بلغت الدراسات الحديثة الدقة والتفصل في وصفها وتحديد مخرجها، إذ تعد الحركات الطوال من نفس مخرج الحركات الصغار، على النحو الآتي:

-الفتحة: وفيها يكون وضع اللسان مستوياً في قاع الفم مع انحرافه قليلاً في أقصاه نحو أقصى الحنك، لذا فهو صوت أمامي منخفض غير مدور متسع.

-الكسرة: وفيها تكون مقدمة اللسان مرتفعة نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يسمح لمرور الهواء بينهما من دون أن يُسمع له أي احتكاك أو حفيف. فهو على ذلك صائت أمامي، مرتفع، ضيق قليلا، محدّب الشفتين قليلا.

-الضمة: تكون عندما يرتفع أقصى اللسان إلى سقف الحنك الأعلى بحيث يسمح للهواء بالمرور من دون أن يحدث أي احتكاك أو حفيف، وفي هذه الأثناء يصاحب زفير الهواء استدارة الشفتين وهي على هذا صائت خلفي مرتفع ضيق قليلا مدور.

-أما الألف فهي من مخرج الفتحة، والياء من مخرج الكسرة، والواو من مخرج الضمة والفرق بينهما في كمية الهواء وزمن النطق فقط.[1]

[1] عفاف الطاهر شلغوم، مخارج الاصوات بين القدامى والمحدثين، ينظر: ص59-61.

التركيب:

لم يعرف العرب القدامى الدرس الصوتي كعلم مستقل فتناولهم له كان في خضمّ علوم لغوية أخرى.

- كانت البداية من عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة العين المثير للدهشة هو الكم الهائل في الدرس الصوتي من ناحية المصطلح والمفاهيم فالعلماء العرب القدامى يعدون المؤسسين لهذا العلم.
- كانت الغاية من هذه الدراسة حفظ القرآن الكريم من اللحن وكذا تسهيل تعلم العربية.
- نشأ علم الأصوات في ضفاف علوم أخرى فعلم الصرف كان الأقرب إذ يهتم هذا

العلم ببنية الكلمة والتغيرات الصوتية التي تحصل فيه

- أما في علم النحو ففي تتبع أواخر الكلم فأي تغير صوتي يصحبه تغير في المعنى.
- أمَّا بالنسبة لدارسي المعاجم فوجب عليهم أن يلموا بعلم الأصوات وذلك لتصنيفها.
- انبثقت هذه الدراسة من القراءات القرآنية ووجوهها الصوتية، واستفاد منها

البلاغيون كذلك حيث عرضوا للفصاحة حسب مخارج إئتلاف الحروف في الكلمة.

- أما بالنسبة للمحدثين: فتأثروا باللسانيات ومناهجها خاصة المنهج الوصفي

والتجريبي، إضافة إلى مبدأ الشمولية الذي يقضي بإبعاد اللسانيات عن الأشياء الفردية وإدماجها في سياق عام.

- فروع علم الأصوات الحديث: الصوتيات النطقية ومجالها دراسة جهاز النطق

وأعضائه، الصوتيات الفيزيائية يهتم بدراسة الخصائص المادية أوالفيزيائية لأصوات الكلام، الصوتيات السمعية والصوتيات المعملية

- أما جهودهم فتمثلت في تقسيمهم الأصوات إلى صوامت وحركات وميزوا بينها

وكذا تعرضهم للمقاطع الصوتية وإعادة تقسيمهم لمخارج الأصوات.

الفصل الثانى:

- علم الأصوات بين الأصالة والحداثة

- **المبحث الأول:** الخلافات بين الصوتيين القدامى والمحدثين
  - ✓ الاصطلاح الصوتي بين القدامى والمحدثين
  - ✓ رأي المحدثين في مصطلحات القدامى
  - ✓ مناهج البحث والتدوين عند القدامى والمحدثين

- **المبحث الثاني:** تصنيف الأصوات بين القدامى والمحدثين.
  - ✓ مخارج الأصوات
  - ✓ صفات الأصوات
  - ✓ الخلافات في (واو. ألف. ياء).

تمهيد:

شهدت الدراسات اللغوية في العصر الحديث تطورا مثيرا، مع بدايات ظهور اللسانيات الحديثة التي أسسها دي سوسير، حيث أعاد النظر في الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة في دراسة اللغة، شمل هذا التغيير الأسس النظرية التي كانت تنبني عليها هذه الدراسة، وكذا المنهج الذي كان متبعا.

فأصبحت تسعى إلى التخصص والدقة أكثر فأكثر، بأن صارت اللغة تدرس على أربعة مستويات، هي المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والجانب الصوتي للغة أحد الجوانب الهامة والأساسية في الدراسة اللسانية، إذ أنه يجسد المفهوم الحقيقي لها باعتبارها أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ويوافق ذلك رأي دي سوسير الذي دعا إلى دراسة اللغة آنيا وفي شكلها المنطوق.

وعلى هذا الاعتبار حظي الجانب الصوتي في اللغة بالكثير من الدراسة والفحص والتحليل قديما وحديثا.

نتناول في هذا الفصل أهم الفروق الصوتية عند العرب القدامى والمحدثين.

➢ المبحث الأول: الخلافات بين الصوتيين القدامى والمحدثين:

✓ قواعد وضع المصطلح الصّوتي بين العلماء القدماء والمحدثين:

ينصب اهتمام اللّغويين المحدثين اليوم على استخلاص قواعد مضبوطة محدّدة تنبني على أساسها في الاصطلاحات العلمية في شتى حقول المعرفة خاصة حقل الصوتيات الذي يسعى الباحثون في مستوياته إلى بلوغ مصطلحات بيّنة الحدود واضحة ووحيدة الدّلالة، أمّا القدماء فلم تؤثر عنهم دراسة نظرية ولا شبهها للمصطلحات العلمية، وكل ما يمكن أن يقال عنهم في هذا الصّدد منبعه الاستنتاج المبني على تتبع مصطلحاتهم في سياقتها المختلفة. فلم يوجد علم كعلم مصطلح ليضبط هذه الدّراسة.

وبالرّغم من اختلاف مناهج الدّراسة إلى أنّها اتفقت في نقاط أهمها:

1- **<u>الدّقة والإيجاز</u>**: "خاصيتان من خصائص المصطلح الصّوتي، لكنهما ليستا مترادفتين"[1] وجب على المصطلح أن يكون دقيقا وفي تعريفه، موجزا شاملا.

فالإيجاز:

[1] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص203

"أمر نسبي، قد يتحقق في المصطلح، إذا كان يرمز إلى مدلول بسيط غير مركب كضبط عضو من أعضاء النّطق نحو الحلق واللّهاة، أو صفة مفردة من صفات الصّوت كالشّدة والرّخاوة، وقد يتحتم الإتيان بالمصطلح مركبا، إذا كان المدلول يتضمن الصّوت نفسه، نحو صوت الصّدر وصوت الفم عند القدماء، ومثله المصطلحات الضّابطة لمخارج الأصوات، نحو أسناني شفوي، وأسناني لثوي عند الدّارسين المحدثين"[1]. فالإيجاز أمر غير دقيق، مرتبط بدلالة المصطلح فإن كان ما يشير إليه بسيطا كان موجزا وإن كان مركبا نحو مخارج الأصوات فوجب أن يكون المصطلح مركبا.

الدّقة:

"مطلقة، أي أنّها مطلوبة في المصطلح البسيط والمركب، وذلك بغية تحديد مفهوميها تحديدا محكما يفصلها عن باقي مفاهيم المصطلحات الأخرى"[2]. فهي امر لا بد من مراعاته في تحديد مفاهيم المصطلحات.

2- <u>أن يؤدي المعنى الواحد بلفظ واحد</u>:

"لأنّ في تعدد المصطلحات للظاهرة الصّوتية الواحدة إسرافا في اللّفظ، وارتباكا وبلبلة في المعنى لأن التّرادف المطلق لا يكاد يوجد، والكلمتان إن أفادتا مدلولا واحدا تفاوتتا فيه من بعض النّواحي"[3] ، اشترطوا أن يمثل المعنى الواحد بمفهوم واحد لكي لا يقع لبس في المعنى فلا وجود للترادف في اللغة. إلا أنّ بعضهم خرق هذه القاعدة "فأطلق أكثر من مصطلح على الفكرة الصّوتية الواحدة، من هذا نذكر ما جاء به أحد الدّارسين، حيث استخدم المخرج والموضع بمعنى واحد"[4]. فبسبب التّرادف أصبح يقابل المفهوم الصّوتي الواحد عدّة مصطلحات.

مواطن الاختلاف في الاصطلاح بين القدامى والمحدثين:

1- الحرص على سلامة اللّغة:

"فالقدماء حرصوا على عروبة اللّغة العلمية وسلامتها، من حيث مطابقتها للأوزان العربية المعروفة، ومسايرتها لقواعد الاشتقاق المألوفة. أمّا الدّارسون المحدثون فيرون أنّ التّجارب قد دلت على أنّ سلامة لغة المصطلح تتمثل في دقتها وتبويبها وسهولة نموها، وأنّ صلاحيتها لا تتعلق بقربها أو بعدها عن الصّيغ العربية، التي تستسيغها أذواقنا، ولهذا نصوا على الفصل بين اللغة العلمية والأدبية وأقروا أن معيار الأولى هو مدى مطابقتها للصّفات

[1] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص203
[2] المرجع نفسه، ص203
[3] المرجع نفسه، ص204
[4] المرجع نفسه، ص204.

العلمية، واتساقها والتّصنيف العلمي وليس شرطا أن تكون قريبة من اللغة الأدبية إلاّ إذا كان ذلك لا يتعارض والمقاييس العلمية"[1]، حرص القدماء في انتقائهم للمصطلحات على مطابقة المصطلح للأوزان الصّرفية أمّا المحدثون فيرون أنّ دقة المصطلح لا تتعلق بصّيغته التّي تناسب أذواقنا بل تنتقى بدقتها فاللّغة العلمية تختلف عن اللّغة الأدبية. إذ يقول عمّار ساسي: "إنّ تفسير التّرادف على أنّه انحراف في الفهم إلى انحراف في التلقين إلى انحراف في الاستعمال، والسّبب –برأينا- جنت عليه العمومية المعجمية بدل الدّقة فيها ومثل ذلك كالذي يفسّر الرّأفة بالرّحمة والرّحمة بالرّأفة"[2]، وعليه وجبت الإشارة إلى مفهوم واحد بمصطلح واحد. فاللغة العلمية مختلفة عن اللّغة الأدبية و من هنا "يظهر أنّ المصطلح قد ظلم في دلالته منذ دلالته منذ ولادته إلى اليوم، ظلم في المفهوم، وظلم في الاستعمال"[3] فإشكالية المصطلح الصّوتي قائمة منذ القدم بسبب الترادف.

أمّا المحدثون ركزوا على "حرية الباحث في انتقاء اللّفظ، الذّي يرتضيه مصطلحا، لأنّه مبدع الفكرة ولا يستطيع أحد أن يعبّر فيها، تعبيرا أصدق منه، وهو انتقائه لهذا اللفظ يتجه أوّلا نحو الفصحى ليأخذ منها كلمة عربية أصيلة، ثم يصرفها عن دلالتها اللّغوية العامة إلى أخرى علمية خاصة"[4]. فالباحث في الدرس الصّوتي الحديث هو المسؤول عن انتقاء المصطلح فيتجه إلى اللغة لانتقاء اللفظة المناسبة منها فينقلها من مفهومها اللّغوي العام إلى مفهوم خاص. ففي حالة عدم وجود الكلمة المناسبة يعرب المصطلح الأجنبي إذ يقول د-خالدي:"يرجع إلى اللّغات الأجنبية ليعرّب مصطلحا يضبط به هذا المعنى نحو الفونولوجيا. مبدأ حرية الباحث كان مقرّرا آنذاك حيث نجد أئمة اللّغة سعوا إلى خلق مصطلحات جديدة فمثلا "استخدام سيبويه حروف المطل، والفراء حروف الإرسال والتّطويل، مع توفير المكافئ لهذه المصطلحات كلّها تمثلا في حروف المد واللّين، والهوائية والجوفية التّي دأب الخليل على استعمالها، كما أكد هذا المبدأ قدامة بن جعفر(387هـ) حيث قال: "الأسماء لا منازعة فيها، فليخترع كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فإنّه ليس ينازع في ذلك"[5].

2- التّعريف بالمصطلح قبل استخدامه:

"ومن الشروط التي ألح المحدثون على أتباعها، التّعريف بالمصطلح قبل استخدامه لأنّه على علم على مفهوم معيّن يحتاج إلى توضيح، حتى لا يجد المتلقي حيرة في فهمه وتوظيفه "[6]، كي لا يحدث خلط على المتلقين عند تلقيهم النصطلح الصّوتي. فوجب على

[1]- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص205
[2]-عمّار ساسي، إشكالية التّرادف بين القدامى والمحدثين، حوليات جامعة الجزائر، العدد 11، 1998، ص33.
[3] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي ص206
[4] المرجع نفسه، ص 207.
[5]- قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تح: عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، دط، دس، بيروت، لبنان، ص68.
[6]- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص207.

كلّ "باحث يقدم على إعطاء تعريف دقيق لمصطلحاته قصد رفع الغموض والالتباس عن القارئ وتحقيق الفصل بينهما وبين ما قاربها من مصطلحات.

الملاحظ في الدّرس الصّوتي القديم تحديدا القرون الثّلاثة الأولى "فلم يولوا مصطلحاتهم عناية قبل استثمارها، إذ لم يقدموا تعريفا ولا حديدا لأطرها الدّلالية، ولم يستثن من هذا إلاّ بضعة مصطلحات نحو: الشّدة والرّخاوة والمطبقة والهاوي، ولعل الذّي دفعهم إلى هذا الصّنيع شعورهم بوضوحها وعدم التباسها لأنّها كانت لصيقة بمعانيها اللّغوية. بل إنّ منها ما وصل حدّ التطابق نحو المنحرف والمكرر والجهر والهمس وغيرهما وما يؤكد جلاء هذه المصطلحات أيضا عدم تصدي اعيان المائة الرّابعة إلى التّعريف بها، بل وظفوها كما وصلتهم .

✓ رأي العلماء المحدثين في مصطلحات القدماء:

تحصر أراء الدّارسين المحدثين فيما ورثناه عن أسلافنا في ثلاثة مواقف كالتالي:

<u>الموقف الأوّل</u>:

أقر أصحاب هذا الرأي أنّ تناول قدماء النّحو واللغة لأصوات العربية كان تناولا عميقا، لا يضاهيه في نضجه واستقصائه كثيرا من المباحث الصّوتية التي بين أيدي اللّغويين اليوم، كما نصوا أيضا على أنّ أئمة اللّغة قد استخدموا في نقل أفكارهم مصطلحات دقيقة استطاعت أن تبلّغ مدلولاتها تبليغا صادقا حيث يقول صبحي صالح: "لا شيء يمنعنا، من التّمسك باصطلاحات علمائنا المتقدمين في تسمية الحروف الفصحى ومعرفة ألقابها والتّمييز بين مخارجها وصفاتها"[1].

ومما أورده أصحاب هذا الموقف أنّه لما كانت المصطلحات التّراثية تلبي حاجة الباحث، وإذا تناول الصّوتيات العربية فلا شيء يدعونا كذلك على تفضيل التّسميات الحديثة أو الأخذ بالتّقسيمات العصرية التي يعتمدها بعض العلماء اليوم، لأن تغير المصطلح القديم في نظرهم قد يوقعنا في لبسنا عند تناولنا لبعض الظواهر اللّغوية، مثل الإدغام والمضارعة والقلب والإبدال وغيرها[2] .

تجدر الإشارة إلى أنّ أصحاب هذا الموقف أخذوا جميع المصطلحات التي اعتمدها النحاة واللّغويون القدامى في مباحثهم الصّوتية بما في ذلك المصطلحات غير الدّقيقة في أدائها لمعانيها[3].

ما يعاب على أصحاب هذا الموقف أنهم قيّدوا مجال البحث، فهذا المجال دائم التطور "فهناك فروع وليدة هذا العصر، نحو علم الأصوات التّجريبي، والسّمعي وغيرها وتطعيم

[1]-صبحي صالح، دراسات في فقه اللّغة، دار العلم للملايين، دط، 1981، بيروت، ص276.
[2]هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، دار الكتب العلمية، ط1، 2012، بيروت، لبنان، ينظر ص199
[3] المرجع نفسه، ينظر: ص199

العربية بمثل هذه البحوث وما انطوت عليه من مصطلحات علمية ضرورة حضارية حتى لا توهم لغتنا بالتّخلف عن مسايرة التّطور العلمي في هذا الميدان، وحتى لا نحصر بحثنا الصّوتي أيضا في الحدود التّي رسمها القدماء"[1]، فالتّوقف على حقبة واحدة في هذه الدّراسة لا يكسبها إلا الجمود ولا يدفعها نحو التّطور فاللّغة ليست جامدة، فهي تتطور وتطور الزّمن.

الموقف الثاني:

يرى أصحاب هذا الموقف أنّ المصطلح الصوتي القديم بني على مفاهيم محددة اختص بها العرب وحدهم. ويرجع ذلك في نظرهم إلى عدة حجج كالتّالي:

أولا: "اصطلاح (حرف) فهو لا يتماشى والفكر الصّوتي الحديث، ثم إنّ البحث الصّوتي عند النحاة واللغويين القدماء قد انصب على العربية وحدها،في حين يهتم الدّرس الصوتي الحديث بما نسمي علم الأصوات العام، الذّي يسعى إلى أوصاف تفصيلية للعديد من لغات العالم"[2]. ففي نظرهم علم الأصوات القديم لا يخدم الدّراسات المعاصرة، فالأخيرة تهتم بدراسة اللغات بصفة عامة أما السّالفة فانصبّ اهتمامها بدراسة العربية وحدها.

ثانيا:" مفتاح التّجديد يكمن في فتح الباب واسعا أمام التّعريب لأنّه السّبيل الوحيد الذّي يمكننا من احتواء التّزايد المطرد للمصطلحات العلمية التي أصبحت تتكاثر يوما بعد يوم"[3]، فوجب على اللغة العربية أن تجاري اللّغات الأخرى ولن يتم هذا إلا بتعريب المصطلحات الأجنبية. فيقولون عن التّعريب: "إذا جارينا القائلين بأنّه لابدّ من إيجاد جذور عربية لكلّ مصطلح صوتي حديث نريد أن ندخله متن العربية، حتى لا ندنّسه بعجمة أو لكنة، فإنّ هذا لا محالة سيلقي بأبناء الضاد بعيدا عن مساحة التّنافس العلمي الذي يعرج فيه أبناء اللّغات الحية الأخرى أضف إلى ذلك أنّ هذا الأمر صعب التّحقيق، لأن ميدانا كالصّوتيات معظم فروعه جديدة "[4] طالب أصحاب هذا الرأي بالتّعريب دون الرجوع إلى التراث ، ففي نظرهم المصطلحات التّراثية لا تخدم الدرس الصوتي الحديث.

ما يعاب على هؤلاء أنّهم: "نفوا قدرة المصطلح التّراثي على التّعبير عن المفاهيم الصّوتية الحديثة فهناك طائفة من المصطلحات القديمة يمكن استثمارها في بحث صوتيات اللّغات الأخرى نحو: الحرف والصّوت والمخرج والصّامت والصّائت وغيرها"[5].فلكل لغة مميزاتها الصوتية الخاصة فالأخذ من الدّراسات الغربية الأخرى وإهمال الدراسات العربية

[1] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي ، ص199
[2] المرجع نفسه، ص200
[3] المرجع نفسه، ص200.
[4] المرجع نفسه، ص 200-201.
[5] المرجع نفسه، ص201

القديمة التي فقد تميزت مصطلحاتها بالدّقة وهذا ما أقر به "المستشرق الفرنسي traupeau الذي أعد أطروحة في المصطلح اللّغوي عند سيبويه"[1].

الموقف الثالث:

يشمل أغلب الدّارسين المحدثين بالإضافة إلى بعض المستشرقين وقد أخذوا موقفا وسطا بين الموقفين السابقين، عمل أصحابه على " إحياء كثير من المصطلحات التّراثية في تناولهم للصوتيات العربية كما أقروا أيضا طائفة منها مكافآت لما يقابلها لدى الدارسين الغربيين في هذا الحقل، ونصوا على اعتمادها في بحث علم الأصوات العام"[2]. أحيوا المصطلحات التراثية في الدّرس الصوتي الحديث، ووضعوا مكافآت للمصطلحات الأجنبية وأقروا اعتمادها، "واشترطوا في المقابل لاستخدام المصطلح الأجنبي، أن يكون المعادل العربي مفقودا"[3] .فكان شرط استخدام المصطلح الأجنبي عدم وجود مصطلح عربي.

نجد أنّ أتباع هذا الموقف أولوا المصطلحات التّراثية عناية خاصة كما أنهم وضعوا مصطلحات جديدة مثل: المنحرف والمكرّر، الشّدة والرّخاوة والمطبقة وحروف الصّفير، والتّفشي. "أهم ما شدّ انتباه اصحاب هذا الرأي مصطلح حرف فأقروا أنّ علماء اللّغة القدامى لم يميّزوا بين اصطلاحي حرف وصوت على نحو ما يفصل بينهما البحث الصّوتي، وأنهم اعتادوا على إطلاق الأوّل ضابطا لجميع أصوات المنظومة العربية في صورتها المرئية والمسموعة ،أي لم يفرقوا بين الكتابة والنطق فكلاهما كان يعتبر حرفا "[4]. أما عند المحدثين :"الحرف هو ذلك الرّمز الكتابي الذّي يتخذ وسيلة منظورة للتعبير عن صوت معيّن، أو مجموعة من الأصوات لا يؤدي تبادلها في الكلمة إلى اختلاف المعنى"[5]. فحددوا تعريف الحرف بالرمز الكتابي، أمّا الصّوت فهو:" عملية حركية يقوم بها الجهاز النّطقي وتصحبها آثار سمعية معينة، تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصّوت وهو الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية معيّنة، تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النّطقي، ومركز استقباله وهو الأذن"[6]. والصوت هو كل ما ينطق. يرجع عدم تفريق القدامى بين الحرف والصّوت إلى أنّهم "لا يقدمون على مثل هذا الاستخدام أي توظيف الحرف بمعنى الصّوت إلّا إذا أسندوا إلى التّركيب قرائن مادية تكون من مستلزمات الصّوت، وذلك بغية تحديد القصد من استثمار لفظة حرف في هذا الموقع، أو ذاك حتّى لا يقع المتلقي في إبهام أو التباس وبالمثل يفعلون بالتّركيب إذا

---

[1]-محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللّغوية الحديثة في اللّغة العربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1987، الجزائر، ص12

[2]-هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص201

[3]- المرجع نفسه، ص201.

[4] المرجع نفسه، ص202.

[5] تمام حسّان، اللّغة العربية بين المعيارية الوصفية، دار الثّقافة، دط، 1980، الدار البيضاء، المغرب، ص130

[6] تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثّقافة، دط، دت، الدار البيضاء، المغرب، ص66

أريد بالحرف الدلالة على صورة الصوت المرئية"[1]. يوظف الحرف بمعنى الصّوت إذا أسند إلى قرائن مادية أي صوت الباء قرينته المادية هي حرف ب .

رجعوا إلى التّراث وأفادوا به الدّراسات الصّوتية الحديثة محاولين بذلك إخراجها من تبعيتها للدراسات الغربية حيث كاد أن يصبح علم الأصوات مترجما. إذ نجدهم "أقروا بعض المصطلحات القديمة مثل مصطلح اللهوية الذي نصوا على دقته في التّعبير عن مضمونه وأنّه يغني عن الذي ابتكره بعض المحدثين، ودعوه بالأصوات الطّبقية دون أن يكون للفظة الطبق أي معنى يتصل بأجزاء الفم مصطلح الشّجرية ضابطا "للجيم والشّين والياء"، فهو أصدق تعبيرا عن هذا المضمون من اصطلاح الغارية الذي ابتدعه بعض الدارسين وذلك لشمول هذا الأخير، أي الغار على جميع أجزاء الحنك الأعلى.مصطلح الأسلية علما على الصّاد والزّاي والسين فهو رغم دقته في الدّلالة عل ما أسند إليه يبق أكثر إحاطة بالمضمون من مصطلح الأصوات البشرية الذّي قال به بعض المحدثين"[2]. انتقوا عدة مصطلحات تراثية كاللّهوية بدل الطّبقية، والشّجرية بدل الغارية، والأسلية بدل الأصوات البشرية.

مايعاب على هذه الطائفة "أنّه لم تلتزم بما أخذت على نفسها، إذ كثيرا ما ارتضى بعض عناصرها التّرجمة مع وجود المعادل العربي القديم، من ذلك مثلا نعتهم اللّام بالجانبي مع وجود المنحرف، وتسميتهم الرّاء بالتّرددي واللّمس، مع توفر المكرر، ومثل هذين كذلك قولهم: الأصوات الحبيسة والطّليقة أو الانفجارية والاحتكاكية أو الآنية والمتواصلة، مع امتلاكنا المرادف العربي ممثلا في الأصوات الشّديدة والرّخوة، الذي يؤدي عين الدّلالة العلمية المسقطة على هذه المترجمات، التي قد يؤدي اتساعها إلى فرقة علمية بين أبناء الضّاد "[3]. فأغلب الدّارسين نجدهم يميلون إلى استخدام المصطلح المعرب بدل المكافئ العربي.

✓ مناهج البحث والتّدوين بين القدامى والمحدثين:

تختلف الدّراسات الصّوتية بين القدامى والمحدثين إذ أنّ "علم الأصوات لم يكن معروفا، إلّا أنّ أبحاثه الصّوتية كانت موجودة، وذلك بظهور دراسات صوتية تنتسب إلى علم الأصوات، وتعتبر المادة الصّوتية التي وجدت في الدراسات اللّغوية والنّحوية والصّرفية المادّة الأساسية التي اعتمدها المصطلح الصّوتي قديما"[4] فعلم الأصوات لم يكن مستقلا بذاته قديما بل وجد في ضفاف دراسات أخرى وهذا كما ذكر في الفصل الأول مع علم الصّرف والنّحو وغيرها من العلوم اللّغوية الأخرى.

---

[1] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص203.
[2] المرجع نفسه، ص203.
[3] المرجع نفسه، ص203
[4] المرجع نفسه، ص197.

كانوا يهتمون بالمصطلح الصوتي اهتماما بالغا و"صنفت ابتداء من استعمالاتها الأولى والعلاقة التي وضعت من أجلها، والاختلافات التّي طرأت عليها عبر مراحلها التّاريخية كالمصطلحات الخاصة بالجهاز الصّوتي من أعضاء ومخارج، ومن صفات الأصوات"[1] اهتموا بمخارج الأصوات وصنفوها وفق استعمالاتها والتغيرات التي طرأت عليها.

إضافة إلى أنّهم "تنبهوا إلى عدم كفاية المخارج لأن تكون مقياس التّفريق بين الأصوات التي تتشترك في نفس المخرج، واصطلحوا لها اسم الصّفات والمخارج ارتبطت بأعضاء النّطق (أي شيء محسوس)، والصفات ارتبطت بالجانب التّجريدي وذلك أنّها تعتمد على الملاحظة والانطباع الذّاتي لذا تعددت واختلفت"[2]. تنبههم إلى عدم كفاية المخارج وتفريقهم بين الصفات التي تكون انطباعية والمخارج مرتبطة بأعضاء النّطق.

ظهرت ملامح الدّراسة الصّوتية في البداية مع أبو الأسود الدؤلي في نقطه المصحف الشّريف، أمّا التّدوين فانطلق من عند القراء فكانت لهم وقفات محمودة عند الأصوات، وأحكامها، ونطقها في التّلاوة، واختلاف القراءات وكان كتاب (الهمز) لابن أبي إسحاق (117هـ) من أوائل الآثار الصّوتية، التي درست هذا الصّوت. وبعد هذه الدّراسة جاءت اقتراحات الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ) في مقدمة كتاب العين وفيما نقله عنه تلميذه سيبويه في الكتاب من أنضج الدّراسات التي تناولت مخارج الحروف وأحيازها وصفاتها من حيث الجهر والهمس، والقلقلة والإصمات والسّكون واللّين والتّجاور والتّأثير، والظّواهر الصّوتية المختلفة، وقوانين التّطور الصّوتي، ونتائج التّماثل والتّشابه أو التّنافر بين الصّوتين المتعاقبين. وجدت بعض هذه النّظريات في مقدمة معجم العين والبعض الآخر نقله سيبويه.وهو الآخر عالج في (الكتاب) للإبدال والإدغام وما يترتب عليهما من ظواهر وقوانين من أجل البحوث الصّوتية.

وقد تناول النّحاة ايضا أيضا موضوع الأصوات فوقفوا عنده وقفات متعدّدة أهمها:

-وقفة الفراء (207هـ) في معاني القرآن ، تلاه المبرد (285هـ) في المقتضب .عقب هؤلاء علماء القرن الرابع حيث تطرّقوا إليه بالدّرس والتّفتيش نذكر منهم: ابن جني في الخصائص وفي سر صناعة الإعراب ففرّعه وأضاف إليه، وابن منظور (716هـ)في لسان العرب ثم السّيوطي (911هـ) في المزهر.

بعده الخفاجي الذي ألف رسالة في الأصوات والحروف.

عرف ذروته في التّطور حيث شهد الجدة على يدي ابن سينا حيث ألف رسالة عنوانها أسباب حدوث الحروف تعرض إلى مخارج الحروف وذكر مصطلحات لم يسبقه إليها أحد.

[1] هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ص197.
[2] -نفس المرجع، ص197.

فما يمكن قوله هو أن الدّراسات الصّوتية عند القدامى لم تكن مستقلة في ذاتها بل كانت تمثل جزءا في النّحو والصّرف والبلاغة والقراءات القرآنية والتّجويد.

الدّراسات الصوتية عند المحدثين:

إنّ المسلم به اليوم، في محيط الدّراسات اللّغوية عند العرب، أنّ مشكلتها مشكلة مصطلحات، ويرجع السّبب في ذلك –كما ذكرنا سابقا- إلى كثرة المصطلحات فمنها ما هو معرب وما هو مترجم . إضافة إلى تأثرها بالمناهج الغربية وكذا خضوعها للتجارب العلمية فأضحت هذه الدراسات أكثر دقة.

أمّا بالنّسبة لجهودهم فقد صدرت مؤلفات كثيرة نذكر منها:

1- الأصوات اللّغوية، للدكتور إبراهيم أنيس
2- -أصوات اللّغة، للدكتور عبد الرّحمن أيوب
3- علم اللّغة العام، الأصوات، للدكتور كمال محمد بشر.
4- مناهج البحث في اللّغة للدكتور تمام حسّان.
5- في صوتيات العربية، محيي الدين رمضان.
6- من وظائف الأصوات اللّغوية، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، للدكتور أحمد كشك.

فما قام به المحدثون هو توسيع هذه الدراسة وتصويب ما جاء خاطئا في مؤلفات القدامى[1].

[1]- هشام خالدي، صناعة المصطلح الصّوتي، ينظر ص186-197

➢ المبحث الثاني: تصنيف الأصوات بين القدامى والمحدثين:

وقف العرب القدامى في دراساتهم طويلا عند مخارج الحروف، وتناولها بالشرح والوصف، وفصلوا في جهاز النطق، ووصفوا أعضاءه وهي تخرج مختلف الأصوات والحروف، ونتج عند دراساتهم هذه –فيما نتج- عدد كبير من المصطلحات المتعلقة بجهاز النطق ومختلف أجزائه.

ولكي نعرف مدى توفيقهم في تحديد هذه المخارج ووصفها، نجري بعض المقارنات بين ما وصلوا إليه من معارف في هذا الباب، وبين ما تنص عليه الدراسات الصوتية الحديثة التي بلغت غاية الدقة في الوصف بما استعانت به من أجهزة علمية حديثة وتقنيات عالية، تتوفر في المخابر أو المعامل الصوتية.

✓ مخارج الأصوات:

- **في تعريفهم للمخارج وتحديدهم لها:**

تحدث العرب القدامى عن مخارج الحروف، وفصلوا في وصفها، واستعملوا مصطلحات عديدة للإشارة إلى مختلف أجزاء جهاز النطق، من ذلك أنهم أشاروا إلى المخرج بتسميات عديدة منها المبدأ والمقطع والمأخذ، وكلها تشير إلى المكان الذي يحدث الصوت فيه من جهاز النطق، وقاموا بتوزيع الحروف على المخارج وتصنيفها تبعا لذلك. لكن الملاحظ في دراسات القدامى أنهم لم يوردوا في كتبهم الكثير من التعريفات للمخرج، والتي يمكن أن نذكر منها تعريف ابن يعيش الذي يقول فيه: "والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده".[1] فالمخرج بهذا المفهوم هو العضو الي ينحبس فيه الهواء لإصدار الصوت أي المكان الذي يحدث على مستواه الإغلاق أو التضييق، ومنه يخرج الصوت المعني، وذلك تبعا لوضعية جهاز النطق في هذه الحالة.

لكن قلة هذه التعريفات لا يعني عدم إدراكهم لمفهوم المخرج، وإنما يرجع ذلك عموما إلى عدم اهتمام القدامى بتعريف المصطلحات كثيرا، بسبب شيوع مفاهيمها عند الدارسين، كما يرجع أيضا إلى طبيعة المناهج المتبعة في بحوثهم والتي لم تكن تهتم بالتعريفات في الكثير من الأحيان، وعادة ما يرجع الباحثون أسباب صعوبة تناول كتب التراث، إلى تداخل مواضيعها، واختلاط مباحثها، وكلها قضايا تتعلق بالمنهجية.

إلاَّ أنَّ جل المشتغلين بالدرس الصوتي في العصر الحديث، لا يهملون التعريفات أبدا، لأنها تعد المدخل الأساسي لكل علم، والبيان التفصيلي لمختلف مصطلحاته، فهم عند تناولهم لمخارج الأصوات وصفاتها، يبدؤون بتعريف المخرج أولا، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى مختلف الجزئيات التي تتعلق بالموضوع.

---

[1] ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ص124

وفيما يخص المخرج فإن تعريفاتهم له تكاد تتطابق، فهي كلها تدور حول معنى: "مكان حدوث الحرف داخل الجهاز الصوتي" وهم بهذا التعريف لم يضيفوا جديدا إلى ما قاله القدماء عن المخرج، في حديثهم عن كيفيات حدوث الحروف.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ العرب القدامى قد اختلفوا في بيان عدد المخارج، فمنهم من عدها سبعة عشر مخرجا، إتباعا للخليل، ومنهم من اعتبرها ستة عشر مخرجا، ومنهم من اقتصر على أربعة عشر مخرجا، ولعل سبب هذا الاختلاف في تحديدهم للمخارج يرجع إلى عدم الاعتماد على الأجهزة والوسائل التي تستعمل في عصرنا الحديث، والتي لا تدع مجالا للاختلاف في مثل هذا الموضوع، وكذلك لأنَّهم كانوا يعتمدون على تجاربهم الخاصة وأذواقهم الشخصية، وتقديراتهم الفردية لا غير، مما جعلهم يختلفون في تقدير عددها.

وعند النظر في تفصيلهم لهذه المخارج، نجد أنهم قد استعملوا الكثير من المصطلحات والبيانات التي تتعلق بالتركيب الفيزيولوجي لجهاز النطق، والتي أهمل نَفر من الدارسين المحدثين بعضها، مستبدلين إياها بمصطلحات وعبارات أخرى أدَّق وأدل على المخرج وأقرب إلى الاستعمال العام في العربية الفصحى الحديثة.

ومما لاشك فيه أن مفاهيم العرب القدامى لبعض المصطلحات العلمية المستعملة عندهم تختلف عن مفاهيم الدارسين المحدثين لها، وهذا ما لم ينتبه له بعض المشتغلين بالدرس الصوتي حديثا، فراحوا يقولون بخطأ العرب القدامى في تحديد المخارج، منطلقين في ذلك من المصطلحات التي استخدمها هؤلاء، والتي كانت تعني غير ما تعنيه في عصرنا الحديث، فعلى سبيل المثال نجد أن مفهوم الحلق وحدوده عند القدامى يختلف عما هو عليه الآن، فالحلق عندهم يبتدئ من الحنجرة وينتهي عند أقصى اللسان، ولذلك كانت الحروف الحلقية عندهم ستة، بينما هي عند المحدثين أربعة، وبالتالي هذا لا يرجع إلى خطأ في تقدير القدامى، وإنما إلى الاختلاف في مصطلح الحلق وحدوده المتغيرة عند كل واحد من الفريقين.

وهذا من بين الأمور التي يمكن أن نفسر بها اللبس الموجود في العديد من المواضع التي تحتاج إلى الفحص والتدقيق والدراسات المستفيضة، وتتطلب منا تناول مصطلحات القدامى وعباراتهم بالمفاهيم التي كانت سائدة في عصرهم، حتى يتأتى للباحث الوصول إلى الحقائق المتصلة بهذا الموضوع بالشكل الصحيح الذي هو غاية البحث العلمي.[1]

- **في مخرج التاء والدال والطاء:**

تحدث العرب القدامى عن مخارج هذه الحروف معتبرين إياها من الصوامت الشديدة وجعلوها جميعا تخرج من مخرج واحد هو "النطع"، والنطع عندهم يعني "ما ظهر من غار

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ينظر: ص251.

الفم الأعلى، وهي الجلدة الملتصقة بعظم الحليقاء، فيها آثار كالتحزيز، وهناك موقع اللسان في الحنك"[1]، وسموا هذه الحروف ب"النطعية" نسبة إلى مخرجها.

وهناك علماء آخرون لم يسموا هذا المخرج بالنطع، فعندما تحدثوا عن مخارج هذه الحروف الثلاثة اعتبروها تخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا، وهو المخرج نفسه الذي يتحدد به النطع، وإنما حدث الاختلاف في المصطلح لا غير.

والملاحظ هنا أن العرب القدامى كانوا ينسبون الحرف إلى مخرجه فقط، مكتفين بذلك ولم يتطرقوا في عمومهم إلى شرح الآلية التي يحدث بها من البداية وحتى النهاية، لكنهم فصلوا القول في شرح بعض هذه العمليات عند حديثهم عن صفات الحروف.

والدارسون المحدثون عند تحديدهم لمخارج التاء والدال والطاء يتفقون مع القدامى إلى حد بعيد، لكنهم لم يستعملوا مصطلح القدامى الذي يدل على هذا المخرج، بل استعملوا مصطلحات أخرى مثل اللثة والأسنان، فينسبون هذه الحروف إلى مخارجها قائلين بأنها لثوية أو أسنانية لثوية، وهناك طائفة منهم أبقت على مصطلح القدامى كما هو من غير تبديل ولا تغيير، ومنهم من أرفق مصطلحات القدامى بشرح وجيز لمعناها، إذا كان من المصطلحات القليلة الاستعمال في لغتنا العربية المعاصرة.

وزاد المحدثون - إضافة لما قاله القدامى - عن مخرج هذه الصوامت شروحا وتفصيلات هامة، تصف الكيفية التي تحدث بها هذه الحروف، من بداية تشكلها في المخرج إلى انتهاءها، واصفين الأوضاع المختلفة لأعضاء النطق الثابتة منها والمتحركة، وسائر العمليات الميكانيكية التي تعطي لصوت الحرف طابعه المميز، وفسروا صفات الحروف انطلاقا من هذه العمليات التي تحدث في جهاز النطق

وذهب بعضهم إلى قياس أبعاد جهاز النطق بدقة متناهية، فقاموا مثلا بقياس المسافة بين طرف اللسان واللثة بعد حدوث الانفجار، ومقدار طول طرف اللسان الذي به يحدث التماس مع سقف الفم ... وغيرها من الحسابات الدقيقة الأخرى التي تتعلق بهذا الجانب .

كما أن البعض الآخر قام بإنجاز العديد من الصور التي تبين وضعية المخرج حال النطق بالحرف، ومختلف الأعضاء التي تتصل به، وتساهم في إنتاج الصامت. وأنجزت كذلك أفلام متحركة تبين تعاقب حركات أعضاء النطق عند إنتاج صامت معين، تمكن هذه الأفلام من رؤية واقعية وحقيقية للعملية النطقية بمختلف أبعادها، وتتيح فرصة التأمل الدقيق في مختلف وضعيات جهاز النطق، باستعمال تقنيات عديدة، منها تقنية العرض البطيء، التي تمكن الباحث من التقاط مشاهد بعينها تكون أكثر إيضاحا وبيانا للمخرج المدروس."[2]

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج 8، دار صادر، سنة 1956 ، بيروت، ص357.
[2] كمال بشر، علم الأصوات، ينظر: ص252.

ولعل هذا التطور الكبير في تحديد المخارج عند المحدثين، يرجع أساسا إلى توافر الأجهزة المعملية الحديثة، والتقنيات العالية، والتي مكنت الدارسين في العصر الحديث من قطع شوط كبير في هذا المجال الذي اتسم العمل فيه بدقة كبيرة، قلّت معها احتمالات الخطأ، وهوامش الارتياب.

ولاشك أن العرب القدامى معذورون في عدم تمكنهم من الوصول إلى كل هذه المعلومات الوافية حول مخارج الحروف، لأسباب عديدة ترجع أساسا إلى عدم توافر أبسط الوسائل التي تعينهم في هذا العمل، وكذلك إلى طبيعة المعرفة العلمية عندهم، والتي كانت تتميز بالبساطة في ذلك العصر، وغير ذلك من الأسباب.

ومع ذلك يعد تطرقهم لمبحث مخارج الحروف وتحديدهم لها بدقة، مع ما كانوا يعانونه من النقائص المذكورة، سبقا كبيرا في هذا المجال الذي حازوا فضل التعرض له، وتناوله بالدراسة والتحليل.

- **في مخرج الضاد:**

يختلف العرب القدامى مع الدارسين المحدثين في تحديد مخرج الضاد الذي يقول ابن جني في بيانه: "ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"[1]. وقال سيبويه في ذلك "ومن بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد"[2]. فحدوث هذا الحرف عندهم يكون عندما تلتقي حافة اللسان اليمنى أو اليسرى بالأضراس، أما المحدثون فيحددون مخرج الضاد بنفس مخارج التاء والدال والطاء، فهو أسناني لثوي، أو نطعي ولا يختلف مع الحروف السابقة إلا في الصفات.

فالضاد هو النظير المجهور للطاء " ولا فرق يذكر بينهما إلا أن الطاء صامت مهموس، والضاد مجهور كما أنه لا فرق بين الدال والضاد إلا أن الضاد مطبق (مفخم) والدال لا أطباق فيه فالضاد إذن صوت أسناني لثوي وقفة انفجارية مجهور مفخم (مطبق)"[3] بل إن الاختلاف وقع حتى بين العرب القدامى أنفسهم حول مخرج هذا الحرف، أيكون من الجانب الأيسر؟ أم من الجانب الأيمن؟ أم منهما معا؟" [4]

يقول جان كانتينو (jan kantinou) وهو يتحدث عن مخرج هذا الحرف عند العرب القدامى: "فالنطق القديم كان (ظْلْ)، أي ظاء ذات زائدة انحرافية، أي تقريب طرف اللسان من الثنايا كما في النطق بالظاء، وأن يجري النفس لا عن طريق اللسان فقط بل ومن جانبيه

[1] ابن جني، الخصائص، تح: محمد على مختار، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، سنة: 1999 ، القاهرة، ص 47
[2] سيبويه، الكتاب، ج 4 ،ص 433
[3] كمال بشر، علم الأصوات، ص 253
[4] عبد اللطيف محمد الخطيب، ضاد الغربية في ضوء القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط 1 ، سنة: 2001 ، القاهرة، ص100.

أيضا... ومنذ القديم كان هذا الحرف المعقد العسير على النطق عرضة للتغيير، فقد ذكر النحاة القدامى منذ عهدهم نطقا مستهجنا لهذا الحرف أسموه الضاد الضعيفة".[1]

ويذهب الكثير من الدارسين إلى أن الاختلاف في تحديد المخرج لحرف الضاد، يعود إلى تغيّر نطق هذا الصامت بين عصر العرب القدامى والعصر الحديث، ويقول إبراهيم أنيس في ذلك: "إن الضاد والقاف والطاء كما وصفت لنا في كتب القراءات قد أصابها التطور حيث صارت إلى النطق الحديث الشائع بين قراءتنا الآن، فقد انتقل مخرج الضاد إلى الدال، وأصبحنا لا نفرق بين الدال والضاد إلا في الإطباق"[2].

ويقول كمال بشر مفسرا سبب الاختلاف بين القدامى والمحدثين في وصف هذا الصامت "أما تفسير ذلك فيمكن إرجاعه على واحد من احتمالين اثنين: الأول: يرى بعضهم أنه ليس من البعيد أن يكون لغويو العرب قد أخفقوا في تحديد الموضع الدقيق لنطق الضاد، ولكن هذا الاحتمال بعيد في رأينا إذ تناقضه الشواهد الكثيرة الواردة عنهم. الثاني: يبدو أن سيبويه وغيره من علماء العربية والقراءة كانوا يتكلمون عن ضاد غير تلك الضاد التي نعرفها ونمارسها نطقا اليوم ... وهناك من النصوص الواردة عنهم ما يؤيد هذا الاحتمال، فهناك أولا النص المشهور الذي ساقه سيبويه متضمنا الإشارة إلى موضع نطق هذا الصوت، يقول: لولا الإطباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والظاء ذالا، و لخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيره... وهكذا نرى أنه نسب الضاد إلى موضع لا يشترك معها فيه غيرها، على حين أن ضادنا الحالية تخرج من النقطة التي تخرج منها التاء والدال والطاء، ويؤيد هذا الاستنتاج كذلك ما أشار إليه في النص نفسه أن الطاء لا الضاد هي النظير المفخم للدال، على عكس الموجود في نطقنا الحاضر إذ فيه تقع الضاد موقع النظير المفخم لهذا الصوت (الدال)"[3].

وليس هذا خاصا بحرف الضاد وحده فلقد "طرأ على نظام الحروف العربية القديمة تحويرات وتغيرات مختلفة... من هذه التحويرات ما هو قديم معروف عند النحاة العرب ومنسوب عنهم إلى بعض الألسن الدارجة التي كانت موجودة في عصرهم، ومنها أيضا ما هو بالعكس أحدث بكثير".[4]

ويقرر كانتينو[5] kantino أن نطق الضاد بالصورة التي كان عليها قديما لم يزُل نهائيا، بل هو موجود في بعض المناطق الأسبانية التي استعارت بعض الكلمات العربية للأسباب التاريخية المعروفة، من هذه الكلمات لفظ "القاضي" والتي ما زالوا ينطقون بضادها بالطريقة نفسها التي نطقها به العرب القدامى، أو بنطق مقارب له.

---

[1] جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، الجامعة التونسية، تر: صالح القرمادي ، سنة: 1966 ، تونس، ،ص39
[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط 4 ، سنة: 1999 ، القاهرة، ص 67
[3] كمال بشر، علم الأصوات، ص 254/ 255.
[4] جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، ص 40
[5] المرجع نفسه، أنظر: ص 42

فالأصوات اللغوية إذن معرضة للتبدل والتغيير عبر الزمن، و" أسباب التغير الصوتي عديدة، ولكن أبرزها هو احتكاك اللغات المتنوعة عبر التماس التجاري والعسكري والثقافي بين الشعوب، هذا الاحتكاك قد يحدث تغييرات صوتية في اللغة، وهناك سبب آخر هام للتغير الصوتي وهو ميل اللغة الطبيعي إلى السهولة، فقد يختفي صوت أو يتحول إلى آخر بسبب الميل إلى التسهيل"[1]، إذن يمكن الاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها من الناحية الدلالية.

وبالإضافة إلى الأسباب السابقة للتعبير الصوتي فإن هناك أسباب أخرى يجملها

الدارسون باختصار في:

1. "اختلاف أعضاء النطق.
2. اختلاف البيئة الجغرافية.
3. الحالة النفسية.
4. نظرية السهولة.
5. نظرية الشيوع.
6. مجاورة الأصوات.
7. انتقال النبر."[2]

ويهمنا هنا أن نشير إلى أن التطور اللغوي لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد، بل يحدث وفقا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها في صورة قوانين دقيقة، إذا ما تناولنا لغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها."[3]

فليس الاختلاف في تحديد مخرج الضاد يعود إلى جوانب تتعلق بالدقة أو بالوسائل العلمية التي كانت مفقودة عند العرب القدامى، وإنما يعود إلى تغير هذا الحرف عما كان عليه، حتى صار إلى النطق الذي نعرفه به الآن.

- ✓ **صفات الأصوات:**
- **في تعريفهم للصفات وتحديدهم لها:**

"صفات الحروف" هي الجانب الثاني الذي تناوله العرب القدامى في دراستهم للأصوات اللغوية إضافة إلى جانب المخارج، وقد تطرقوا إلى الكثير من صفات الحروف منها ما يتعلق بصفات المجموعات سواء كانت هذه الصفات متقابلة أو غير متقابلة، ومنها يتعلق بصفات حروف بذاتها.

[1] محمد علي الخولي، المدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، سنة: 2000 ، الأردن، ص155

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ينظر: ص 204/186.

[3] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، ط 3 ، سنة: 1997 ، القاهرة، ص 18

لكنهم لم يعرفوا الصفة في الاصطلاح، وإنما كانوا يتحدثون مباشرة عن صفات الحروف ويعددونها، وهذا أيضا ما فعلوه مع المخارج كما سبق بيان ذلك، وللأسباب السابقة لم يهتموا بتعريف الصفة.

واستعملوا العديد من الألفاظ للدلالة على صفات الحروف منها: أجناس الحروف، أقسام الحروف حسب أصواتها، فضيلة الحروف، وهذا المصطلح الأخير استعمله الاستراباذي، وعنى به الميزة أو الخاصية التي تفرق بين حرف وآخر، فقال " فضيلة الضاد الاستطالة، وفضيلة الواو والياء اللين، وفضيلة الميم الغنة، وفضيلة الشين التفشي والرخاوة، وفضيلة الفاء التأفيف".[1]

ويلاحظ أنهم قد أفاضوا في الحديث عن صفات الحروف، وتوسعوا بشكل كبير، متطرقين لكل صفة بالتعريف والشرح والتمثيل، وجعلوها هذه الصفات ضمن قسمين: "صفات متضادة أو متقابلة ، وأخرى غير متضادة، أما المتضادة فهي الجهر مقابل الهمس، والشدة مقابل الرخاوة، والاستعلاء مقابل الاستفال، والإطباق مقابل الانفتاح، والإذلاق مقابل الإصمات، وهي في مجملها عشر صفات. أما غير المتضادة فهي سبع: الصفير، القلقلة، اللين، الانحراف، التكرار، التفشي، الاستطالة".[2]

بالإضافة إلى صفات أخرى تتعلق بحروف مخصوصة، كالغنة في الميم والنون، والتأفيف للفاء، وغيرها ... واعتمدوا في ذلك على تجاربهم الشخصية، وأذواقهم الخاصة في أغلب الأحيان.

أما الدارسون المحدثون المهتمون بالصوتيات، فقد اتبعوا عموما منهج القدماء في الدراسة فتناولوا الأصوات اللغوية من جانبي المخارج والصفات.

ويبدؤون في حديثهم عن الصفات بتعريف "الصفة" كمصطلح علمي، وهي "كيفية حدوث الحرف في جهاز النطق"[3]

أو في تعريف آخر لها "وضعية تعرض للحرف عند حصوله في المخرج"[4] وعندما يتناول الباحث موضوع "صفات الحروف" فلا بد له من استعمال الأجهزة الحديثة لإثبات هذه الصفات عمليا، فمما فاق فيه المحدثون القدامى أنهم عرَّفوا مختلف الصفات تعريفا علميا دقيقا لا مجال فيه للاختلاف ، كما في تعريف الجهر والهمس والشدة والرخاوة...

ومما اختلف فيه المحدثون مع القدامى، أن المحدثين لا يهتمون إلا بذكر الصفات الأساسية، وعادة ما يهتمون بصفات الجهر والهمس والشدة والرخاوة والترقيق والتفخيم وبعض الصفات التي لا ضد لها مثل القلقلة، والتكرير، والانحراف والصفير، كما اختلفوا معهم أيضا في المصطلحات المستعملة للدلالة على الصفات، فقد استعمل القدامى مصطلح

[1] الاستراباذي، شرح الشافية، تح: محمد الزفزاف، ج 3، مطبعة حجازي، سنة: 1358ه، القاهرة، ص270.
[2] ابن الجزري، متن الجزرية في التجويد، دار البلاغ، سنة: 1996 ، يظر: ص 10.
[3] عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة مصر، سنة: 2000، القاهرة، ص 44.
[4] محمد محيي الدين أحمد محمود، في علم اللغة، مكتبة الآداب، سنة: 2001، القاهرة، ص44.

الشدة باعتبارها صفة للحروف التي يحدث فيها الإغلاق التام للمخرج، بينما استعمل المحدثون مقابل ذلك مصطلح "الانفجار"، واستعملوا مصطلح "الاحتكاك" مقابل مصطلح الرخاوة عند القدامى وغير ذلك من المصطلحات.

ولكن بعض المحدثين أبقى على المصطلحات القديمة كما هي، مع بيان وافٍ لمعناها عند العرب القدامى ما دامت تدل على مسمى واحد.

امتاز المحدثون عن القدامى في هذا الباب في أنهم قدموا تفسيرا وافيا للأسباب الفيزيولوجية التي تُحدث الصفات، فهم يصفون أعضاء النطق في لحظة إنتاج صوت معين، ويحددون وضعية العضو الذي يتسبب في حدوث الصفة... بينما اكتفى القدامى بذكر ملاحظات عابرة في ذلك، ومع بعض الصفات فقط.

- **في الصفات المتقابلة:**

1. **الشدة والرخاوة:**

قال سيبويه في تعريف الشدة: ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"[1] وعرف المبرد الحروف الشديدة قائلا: "ومنها حروف تمنع النفس وهي التي تسمى الشديدة"،[2] أما الحروف الرخوة فقد عرفها قائلا: "ومن الحروف حروف تجري على النفس وهي التي تسمى الرخوة"[3].

الذي يؤخذ على تعريف القدامى للشدة أنه تعريف غامض ومتداخل مع تعريف الجهر، ويرى بعض الدارسين في العصر الحديث أن العرب القدامى لم يفرقوا بين الجهر والشدة تفريقا واضحا، مما أثار اللبس في مفهوميهما.

أما مفهوم الشدة عند المحدثين فهو: "أن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع، وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة، فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا".[4]

في هذا التعريف وصف دقيق لمختلف العمليات الفسيولوجية التي تسبب صفة الشدة، فالتيار الهوائي عند خروجه من قنوات جهاز النطق وفي أثناء اندفاعه تحدث له إعاقة كاملة في موضع من المواضع، بحيث ينغلق جهاز النطق في هذا الموضع انغلاقا تاما، ثم يبقى على ذلك مدة قصيرة من الزمن، بعدها ينفتح ممر الهواء فجأة فاسحا المجال أمام التيار الهوائي الذي يخرج في شكل انفجار صوتي.

---

[1] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ج 4، دار الجيل، ط 1، بيروت، ص434

[2] المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة، ج 1، دار عالم الكتب، بيروت، ص 194

[3] المصدر نفسه، ص 194

[4] كمال بشر، علم الأصوات، ص 247.

وقد قام المحدثون باستعمال طرق عديدة لبيان المواضع التي يتم على مستواها الإغلاق مع الحروف الشديدة المختلفة، منها تقنية التصوير بالأشعة التي تُظهر ما يشبه المقاطع في جهاز النطق، والتي تمكِّن أيضا من رؤية أعضاء النطق الداخلية في حالة الحركة، أي قبل الإغلاق وأثناءه وبعده.

وكذلك عرفوا الرخاوة أو الاحتكاك بدقة مميزين بينها وبين الشدة: "عدم انحباس الهواء انحباسا محكما عند النطق بالصوت، وإنما إبقاء المجرى عند المخرج ضيقا جدا مما يسمح بمرور النَّفس، محدثا نوعا من الصفير أو الحفيف، تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق".[1]

أما بالنسبة للصوامت المدروسة وهي التاء والدال والطاء والضاد فإنَّها جميعا شديدة وهذا هو رأي كل الدارسين المحدثين، وهو لا يخالف رأي العرب القدامى إلا في صامت الضاد الذي يعد عندهم من الحروف الرخوة، وهي نتيجة طبيعية بنيت على أساس تحديد مخرج هذا الحرف الذي تغير وتبدل، ولم يعد كما كان موجودا وموصوفا عندهم.[2]

ويمكن القول بصفة عامة أن العرب القدامى قد أدركوا حقيقة الشدة، وفرقوا بينهما وبين الرخاوة، بدليل تصنيفهم للحروف الشديدة والرخوة تصنيفا دقيقا، وعرفوا أن هناك حروفا لا هي بالشديدة ولا هي بالرخوة، فجعلوها في مجموعة أخرى، وليس عمل المحدثين في الحقيقة إلا إثباتا وتأييدا لما قاله القدامى في هذا الباب.

2. الجهر والهمس:

عرَّف القدامى الصامت المجهور بأنه "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أي يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت، فهذه حال المجهورة"[3].

وعرفت الحروف المجهورة كذلك بأنها: "حروف إذا رددتها ارتدع فيها الصوت"[4]. وعرَّفوا الصامت المهموس بأنه "حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه، وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فرددت الحرف مع جري النفس، ولو أردت ذلك في المجهورة لم تقدر عليه"[5]. وقد لاحظ المحدثون على تعريف الجهر والهمس عند العرب القدامى أنه يفتقد الدقة المطلوبة، بسبب عدم إدراكهم للعضو الذي يسبب الجهر أو الهمس، ويرى العديد منهم أن هذا التعريف يصلح للرخاوة أكثر من صلاحيته للهمس، وهم بذلك يختلفون مع القدامى في تعريف الجهر وأسبابه، فهو في الحقيقة: "تذبذب الأوتار الصوتية عند النطق بالحرف".

---

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، المكتبة الأنجلو مصرية، ط 4 ، سنة: 1999 ، القاهرة، ص 24.
[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ينظر: ص 122.
[3] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ج 4، دار الجيل، ط 1، بيروت، ص434.
[4] المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عظيمة. ج 1، دار عالم الكتب، بيروت، ص 197
[5] سيبويه، الكتاب، ج 4، ص 434

وانطلاقا من تعريف الجهر فإن المحدثين قد عرفوا الصوت المهموس بأنه "الصوت الذي لا يتذبذب الوتران عند نطقه"[1]. أي أن الصوت المهموس لا يحدث تحركا على مستوى الأوتار الصوتية، "فإذا اهتزا مع إحداث الصوت، كان الصوت مجهورا والعملية جهرا، وإذا لم يهتزا كان الصوت مهموسا والعملية همسا"[2]. فإذا "انفتحت الحبال الصوتية وانغلقت بسرعة، لتجزيء الكتلة الهوائية إلى نفخات متعاقبة فهذا يعتبر جهرا"[3].

فالاختلاف الواقع بين تعريفي العرب القدامى والمحدثين للجهر واضح وجلي، مرده إلى أن العرب القدامى لم يهتدوا إلى عضو النطق الذي يسبب عملية الجهر وهو الحنجرة بما تحتويه من أوتار صوتية، فلم يرِد في مؤلفاتهم العديدة ذكرٌ للحنجرة، ولا حديث عن دورها في عملية الجهر، لأجل ذلك كان تعريفهم له محاط بشيء غير قليل من الغموض والدليل على ذلك أن أغلب من جاء بعد سيبويه اكتفى بترديد تعريف سيبويه للجهر دون شرح أو إضافة، والحقيقة أن تصنيف سيبويه للأصوات من حيث الجهر والهمس "يقوم على أساس تجريبي بسيط، وهناك رأي منسوب لسيبويه سجله الصيرافي في شرح كتاب سيبويه يوضح منهج سيبويه في التجريب، يتلخص هذا الرأي في أن بعض الأصوات يمكن أن تنطق يرفع الصوت فقط، فالدال والزاي مثلا لا يمكن نطقها الواضح المتميز بصوت خفيض، فإذا حاول الإنسان نطق الدال بصوت خفيض فإنه لا يستطيع نطقها دالا بل تاء، وعلى العكس من هذا فهناك أصوات تنطق بأي درجة في الصوت مع أنَّها تنطق أيضا بخفض الصوت دون أن يحدث لها أي تغيير، مثل التاء والسين، وعلى هذا فهناك أصوات لا يجوز أن تنطق إلا بصوت عال نسبيا، وهذه هي المجهورة، والجهر رفع الصوت. وهناك أصوات يمكن أن تنطق بخفض الصوت، وهذه الأصوات هي المهموسة، والهمس خفض الصوت، وبهذا اتضح من هذا الرأي المنسوب لسيبويه الطريقة التي ميز بها سيبويه بين المجهور والمهموس."[4] وهذا يدل على إدراك القدامى لمفهوم الجهر شيئا ما، إذ عرفوا أن له أثرا صوتيا ذا علو نسبي في الحروف المجهورة، لكنهم لم يدركوا العامل المسبب لعملية الجهر.

ولأجل إيضاح تعريف سيبويه للجهر، نورد شرح تمام حسان له إذ يقول فيه: "فالمجهور صوت شدد الضغط معه، ولم يسمح للهواء المهموس أن يجري معه، حتى ينتهي الضغط عليه، ولكن يجري الصوت أثناء نطقه، فهذه حال الأصوات المجهورة".[5]

والخلاصة أن العرب القدامى قد أدركوا معنى الجهر، والأثر الصوتي الناتج عنه والأمر كذلك بالنسبة للهمس، ولكن فاتهم أن يدركوا العضو المسبب له، وذلك لأسباب

[1] غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي، سنة: 2002، القاهرة، ص 102
[2] محمد علي الخولي، المدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، سنة: 2000 ، الأردن، ص 31
[3] يوسف غازي، مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العربي الجامعية، ط 1، سنة: 1985 ، بيروت، ينظر: ص 123
[4] محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، سنة: 1988 ، القاهرة، ص 52
[5] تمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار عالم الكتب، ط 3، سنة: 1998، القاهرة، ص 82

موضوعية تتعلق بالتطور التقني والعلمي في مجال التشريح الذي لم يكن متوافرا في ذلك العصر.

أما بالنسبة للصوامت المدروسة فإننا نجد العرب القدامى يعدون التاء فقط من الأصوات المهموسة، بينما يجعلون بقية الأصوات مجهورة وهي الدال والضاد والطاء، فيكون الاختلاف إذن في صفتي الجهر أو الهمس لهذه الصوامت في حرف الطاء الذي يعتبره المحدثون من الحروف المهموسة بلا خلاف .

ويرى كمال بشر أن وصف العرب القدامى للطاء بالجهر، يمكن أن يفسر بإحدى احتمالات ثلاث:

- **"الاحتمال الأول:** ليس من البعيد أن يكون هؤلاء العرب قد أخطأوا التقدير فظنوا

أن الطاء مجهورة، وقد يقبل هذا الاحتمال إذا علمنا أنهم لم يشيروا إلى العامل الأساسي في حدوث ظاهرتي الجهر والهمس، ونعني بهذا العامل وضع الأوتار الصوتية حال النطق بالأصوات، بل قل إنهم لم يشيروا إطلاقا إلى وظيفة هذه الأوتار في عملية النطق.

- **الاحتمال الثاني:** لعل تطورا حدث في نطق ذلك الصوت الذي يرمز إليه كتّابه

بالرمز (ط) فلعلهم كانوا ينطقونه في القديم بما يشبه نطق الضاد الحالية، والضاد الحالية -كما نعرف- صوت مجهور، وهي النظير المطبق أو المفخم للدال حسب نطقنا الحالي في جمهورية مصر العربية، ومعنى هذا الكلام في الوقت نفسه أن ضادهم كانت تختلف عن ضادنا الحالية، أي أنها صوت لا نظير له في نطقنا الحالي، ويؤيد هذا الاحتمال الثاني بشقيه نص سيبويه الذي يقرر فيه صراحة أن الضاد لا يخرج من موضعها شيء غيرها، على حين أن ضادنا الحالية تخرج من منطقة التاء والطاء والدال، فإذا كان هذا الاحتمال الثاني يمثل حقيقة تاريخية ساغ لهم ما يقولونه إذن من أن الطاء صوت مجهور، أي كان ينطق نطقنا بالضاد الحالية، إذ لا فرق في نطقنا الآن بين الطاء والضاد إلا الهمس في الطاء والجهر في الضاد، فإذا نطقنا الطاء مجهورة كانت ضادا وإذا عكسنا فنطقنا الضاد مهموسة كانت طاءا.

- **الاحتمال الثالث:** لعلهم كانوا يصفون صوتا يشبه صوت الطاء الذي نسمعه في

بعض لهجات الصعيد وفي نطق بعض السودانيين الآن، وهو صوت طاء مشربة بالتهميز glottalization حيث نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمزة فيها، ويتم نطق هذه الطاء المهمّزة بالطريقة التي تُنطق بها طاؤنا الحالية بإضافة عنصر جديد وهو إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها، ومن ثم لا يمر الهواء خلال الحلق والفم، ومن ثم يختلف ضغط الهواء في هاتين المنطقتين وفي خارج جهاز النطق عنه خلف الأوتار الصوتية، وفجأة

تنفصل الأعضاء المشتركة في نطقها بعضها عن بعض فيخرج الهواء المضغوط خلف الأوتار بقوة ملتقيا مع glottalized نتيجة إقفال الأوتار الصوتية حال النطق بها، وهذا الصوت حينئذ من الصعب وصفه بالجهر أو الهمس، أما عدم الجهر فواضح لأن الجهر لا يحدث عند إقفال الأوتار الصوتية وكذلك لا يحدث الهمس في نظرنا إلا عند انفراج الوترين انفراجا معينا، فالهمس إذن ليس معناه عدم الجهر كما فعلوا في الهمزة ذاتها، وإذا كان هذا هو ما كان يقع بالفعل في نطق الأقدمين فلعلهم لم يستطيعوا إدراك خواصها فظنوها مجهورة أو النظير المفخم للدال وهو صوت مجهور. على أنا نسمع أحيانا من السودانيين من ينطقها كما لو كانت مجهورة.[1]

3. التفخيم والترقيق:

من بين صفات الحروف التي عرفها العرب القدامى صفة الاستعلاء ويقابلها الاستفال، والاستعلاء سمة صوتية تتميز بها بعض الحروف التي جمعت في عبارة : "خص ضغط قظ" ، تقتضي هذه السمة أن يكون الحرف الموصوف بالاستعلاء مفخما عند نطقه، والاستفال ضد الاستعلاء، فالحرف المستفل هو حرف مرقق بالضرورة، ولا نجد في عموم كتب العرب القدامى تعريفا واضحا ومحددا للاستفال، ولكننا نجدهم يذكرونه عادة مقابل صفة الاستعلاء .أما علماء التجويد والقراءات فإنهم يستعملون مصطلح الاستفال أكثر من اللغويين الذين لم يشع عندهم هذا المصطلح بقدر درجة شيوعه عند علما التجويد.

لكن العديد من الدارسين المحدثين المنشغلين بالدرس الصوتي لا يهتمون بهذا المصطلح ولا يتطرقون إليه في العادة. وإذا تطرق بعضهم إليه فإن ذلك لا يكون إلا في معرض الحديث عن العرب القدامى وتعداد الصفات التي نسبوها لمختلف الحروف، وإذا أرادوا أن يشرحوا هذا المصطلح فإنهم يعتمدون على ما قاله بعض العرب القدامى في تعريفهم له، لأن صفة الاستفال عند المحدثين ليست بذات أهمية، فهي من قبيل المقابلة في الصفات عند العرب القدامى لا غير.

وحتى صفة الاستعلاء المقابلة للاستفال فإنها تذكر عند بعض الدارسين المحدثين من باب الصفات المحسنة لا الصفات الرئيسة يقول غانم قدوري الحمد: "وعلى الرغم من استخدام مصطلح الاستفال والمستفلة مقابلا لمصطلح الاستعلاء والمستعلية، فإن صفة الاستعلاء تظل أدخل في الصفات المحسنة"[2].

ونفس الكلام الذي قيل عن الاستفال يمكن أن يقال أيضا عن الانفتاح، والانفتاح هو الصفة المقابلة للإطباق، وحروف الإطباق أربعة هي: "الطاء والضاد والظاء والصاد" وإذا

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ينظر: ص 253/251.
[2] غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، ينظر: ص 136

كان الإطباق "أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقا له"[1]، فإن الانفتاح عدم ارتفاع ظهر اللسان عند النطق بالحرف.

ويرى الكثير من الدارسين المحدثين أن تجتمع صفتا الانفتاح والاستفال تحت مسمى الترقيق، وصفتا الإطباق والاستعلاء تحت مسمى التفخيم، مع ضرورة الإشارة إلى خصوصية كل مجموعة من هذه المجموعات "لأن أصوات الاستفال هي كلها أصوات انفتاح، وبذلك فإن أصوات الانفتاح أصوات استفالية، وهي كلها أصوات مرققة، باستثناء عدد منها مفخم في بعض الأحوال، وإذا كان القرطبي قد ذكر أن التفخيم والإطباق والاستعلاء من باب واحد، فإن بالإمكان القول وفق هذه العبارة أن الترقيق والانفتاح والاستفال من باب واحد".[2] وذلك لأن كلاً من الإطباق والاستعلاء ينتجان أثرا سمعيا واحدا هو التفخيم وبخصوص الإطباق فهو وضعية فيزيولوجية خاصة بأقصى اللسان الذي يكون منطبقا على الحنك اللين "وقد أدرك علماء العربية في القديم هذه الخاصية – التفخيم– وتناولوها بالنظر والدرس، وصنفوا أفراد التفخيم إلى طوائف، ونعتوا كل طائفة بنعتها المناسب، كما وفقوا إلى إدراك جانبي عملية التفخيم: الجانب العضوي، والجانب السمعي"[3]. فالإطباق يقابله الانفتاح، وهما يشيران إلى العملية الفسيولوجية عند النطق كما أن التفخيم يقابله الترقيق، والمقصود بذلك الأثر السمعي الناتج عن هذا النطق.

والملاحظ هنا أن الاتفاق قد حصل بين العرب القدامى والدارسين المحدثين، فكِلا الفريقين متفق على جعل الضاد والطاء من الحروف المطبقة والتي هي مفخمة بالضرورة، والتاء والدال من الحروف المنفتحة والتي تكون مرققة، ولأن صفة الاستعلاء أعم من صفة الإطباق فإن الطاء والضاد من الحروف المستعلية بالضرورة، وبالمقابل يكون الدال والتاء من الحروف المستفيلة .

- **<u>في الصفات غير المتقابلة:</u>**

<u>القلقلة</u>: تعرف القلقلة عند العرب القدامى بأنها "ما تحس به إذا وقفت عليها – على الحروف الشديدة – من شدة الصوت المتصعد..."[4]

وحروف القلقلة عند العرب القدامى هي الحروف التي جمعت في عبارة (قطب جد) "والسمات المشتركة التي سوغت جمع هذه الأصوات وضمها بعضها إلى بعض في فئة واحدة هو كونها في رأيهم شديدة مجهورة"[5]

---

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، ص 61
[2] عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 145
[3] كمال بشر، علم الأصوات، ص 395
[4] الزمخشري، المفصل، تح: د. على بوملحم المفصل، دار ومكتبة الهلال، ط 1، سنة 1993 بيروت، ص295.
[5] كمال بشر، علم الأصوات، ص378.

والقلقلة مجرد صوت يلحق بهذه الحروف في حال سكونها، وذلك في أي موقع تقع فيه "وهناك من الدارسين من يقصر القلقلة على حال الوقف دون غيره، وهو رأي غير مقبول في جملة الثقات من رجال القراءة والإقراء، ويصفونه بالوهم الناتج عن عدم الدقة في فهم مدلول بعض المصطلحات الواردة في هذا الشأن على ألسنة المتقدمين وعلى أقلامهم"[1]

وقد حصل الخلاف بين القدماء والمحدثين حول هذه الحروف، فجعلها القدماء خمسة حروف جُمعت في قولهم (قطب جد) لاشتراكها جميعا في الشدة والجهر.

ولأن الاختلاف قد وقع بين العرب القدامى والدارسين المحدثين في همس أو جهر كل من الطاء والقاف، وكذلك في اعتبار الجيم صامتا شديدا، فقد وقع الخلاف تبعا لذلك في تعداد حروف القلقة أيضا.

فهناك من الدارسين من اكتفى بالأخذ برأي القدامى، فجعل حروف القلقلة هي المجموعة في عبارة "قطب جد"، ومنهم من جعل القلقلة صفة لازمة لكل صامت من الصوامت الشديدة، وجعل صفة القلقلة تتطلب أن يكون الصامت موصوفا بالشدة فقط، لا الشدة والجهر، فاعتبر حروف القلقلة هي: الألف والدال والكاف والقاف والطاء والباء والتاء بالإضافة إلى الضاد بالنطق الحديث، "فصفة الجهر للأصوات الشديدة التي تقلقل ليست ضرورية ولا ينبغي اشتراطها بحال لقلقلة الصوت الشديد، فالقلقلة لا تعدو أن تكون تحريكا بصوت أو نبرة، أو حفزا للصوت إلى النفاذ لإتمام النطق بالصوت، وتمامه بالانفجار الذي عبروا عنه بالقلقلة أو النبرة أو الحفز أو الضغط، وهذا الذي نقول ينطبق على كل الأصوات الشديدة مجهورها ومهموسها على حد سواء، فإن المهموسة الشديدة في حاجة إلى نبرة أو تحريك طفيف (القلقلة) لإكمال نطقها، شأنها في ذلك شأن الشديدة المجهورة بلا أدنى فرق"[2]. أي أنها تحريكٌ للحرف لإتمام نطقه.

وقد ذُكر هذا الأمر حتى عند بعض القدامى "فسيبويه-مثلا- يضم التاء، والمبرد يضم الكاف، وآخرون يذكرون الهمزة صوتا من أصوات القلقلة"[3].

وبالنسبة لصامت الضاد الذي تغير فصار صامتا شديدا في أشهر صُوَره، فإنَّه يعتبر أيضا من الصوامت الشديدة التي تخضع للقلقلة عند سكونها.

<u>الاستطالة:</u> صفة الاستطالة من صفات الحروف عند العرب القدامى، وهي تتعلق بصامت واحد هو صامت الضاد الذي تميزت به اللغة العربية عن سائر اللغات، وقد ذكر سيبويه الاستطالة في قوله: "الاستطالة هي الامتداد إلى الأمام من خلف"[4].

---

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص 379

[2] المرجع نفسه، ص390.

[3] المرجع نفسه، ص390.

[4] عبد اللطيف محمد الخطيب، ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط 1، سنة: 2001، القاهرة، ص 13

وقال ابن الجزري عن الحرف الذي يتسم بذه السمة: " والحرف المستطيل هو الضاد، لأنه استطال على الفم عند النطق به حتى اتصل بمخرج اللام، وذلك لما فيه من القوة بالجهر والإطباق والاستعلاء"[1].

وقال سيبويه في ذلك: "إنها – الحروف المستطيلة – تخالط مخرج غيرها بعد خروجها، فتستطيل حتى تخالط حروفا أخرى"[2]

وابن يعيش يرى أن الاستطالة التي للضاد ليست لشيء من حروف العربية "ويذكر أن علة هذه الاستطالة في الضاد عائدة لرخاوتها"[3]

وإذا كان الضاد كما رأينا يشارك غيره في الإطباق، فإنه ينفرد هنا بالاستطالة بالإضافة إلى انفراده بمخرج ليس لغيره، وهذا عند العرب القدامى بطبيعة الحال.

والحقيقة أن هذه الصفة ليست محل اتفاق بين القدامى والمحدثين، فالضاد كما في النطق الحديث صامت شديد مختلف عن الضاد القديمة التي تتميز بالرخاوة والاستطالة، وتختلف عنها أيضا في المخرج لأن ضادنا تخرج من مخرج التاء والدال والطاء، وبالتالي فليس من الصحيح أن ننسب صفة الاستطالة لصامت الضاد بالشكل الذي هو عليه الآن، لأن تلك الضاد الموصوفة بالاستطالة تغيرت وتبدلت عبر المراحل التاريخية المختلفة.

ويمكن القول أخيرا أن العرب القدامى قد أجادوا في وصف الحروف، بالتحديد الدقيق لمخارجها وصفاتها، ووسعوا في ذلك... وإن كان هناك من اختلاف بينهم وبين المحدثين فهو يرجع لأحد سببين رئيسين:

الأول: اختلاف الحروف الموصوفة عند القدامى عما هي عليه الآن.

والثاني: أن الأساليب والمناهج والوسائل المتوفرة في عصرهم لم تمكنهم من الوصف الدقيق للحروف كما هو الشأن في الوقت الحاضر، وذلك ما يلاحظ جليا على سبيل المثال في جوانب الدراسة الفيزيائية للأصوات التي لم يتطرق إليها العرب القدامى لا من قريب ولا من بعيد بسبب غياب الوسائل والأجهزة والتقنيات والمعارف الحديثة في ذلك العصر .

✓ الخلافات في (واو. ألف. ياء).

نشأت عن هذه الأصوات الثّلاث مشكلات عديدة وخلافات كثيرة والسبب في نظر كمال بشر يرجع إلى: "طريقة اللّغويين في تقعيد هذه الحقائق وتنظيمها، فعلماء العربية في دراسة (واي) قد خلطوا أحيانا بين الصوت والرمز الكتابي، كما خلطوا من وقت إلى آخر بين قيمتها الصوتية ووظائفها الصرفية والنحوية"[4] . وهذا كما ذكرنا سابقا فالصّوتيات درست في خضم فروع لغوية أخرى.

---

[1] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص205.
[2] سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 405
[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ج 10، عالم الكتب، بيروت، ص 134
[4]-كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، 1998 ، ص16

وفيما يلي سنعرض كيف تطرق القدامى والمعاصرون لهذه الاصوات الثّلاثة:

1- <u>الألف</u>:

"كانت تطلق في الأصل –بحسب التاريخ المعروف لنا- على الألف أو على ما عرف في مرحلة تاريخية متأخرة نسبيا باسم الهمزة. أي ذلك الصوت الذي ندعوه حديثا الوقفة الحنجريةglottal stop ، والرمز الأصلي لهذا الصوت هو(ا) بدون رأس العين الصّغيرة (ء) فوقه أو تحته"[1]. البداية كان الرمز ا يشير إلى الهمزة أي لم تكن تشير إلى ألف المد أو الفتحة الطويلة. "يكاد يكون من المؤكد أنّ الفتحة الطويلة (ألف المد) لم يكن لها علامة كتابية في هذه المرحلة، شأنها قي ذلك شأن الحركات القصيرة"[2]. رمز ألف المد والحركات <u>الأخرى</u> لم يكن موجودا .

الدّليل على أنّ الألف هي اسم الهمزة:

1- "من خواص الأصوات العربية أنّ قيمها الصّوتية يعبّر عنها دائما بصدر أسمائها"[3] مثلا يعبر عن الباء بصدرها (ب).
2- "تاريخ الألفباء يدل على أن الألف هو في الأصل اسم الهمزة (الوقفة الحنجرية لا ألف المد) وهو رمزها كذلك. وهذا من خلال التّرتيب الأبجدي الذي يظهر في : أبجد، هوز،... فهي الأولى في التّرتيب.

من هنا الألف تدرس من جانبين:

الهمزة عند القدامى:

"يرى سيبويه أنّ الهمزة حرف شديد مجهور، وهي حلقية عنده، أو من أقصى الحلق، بعبارة أدّق .وقد تبع سيبويه في ذلك معظم علماء العربية الذين جاءوا من بعده، بل يكاد هؤلاء جميعا يرددون الألفاظ نفسها"[4]. فالهمزة عند القدامي صوت شديد انفجاري

"وصف الهمزة على أنها صوت شديد انفجاري يمكن أن يعد وصفا صحيحا ودقيقا في احتمال واحد ذلك إذا أخذنا مصطلح (شديد) على أنّه يعني ما نعنيه بالمصطلح الحديث (الإنفجاري) أو (وقفة انفجارية) والحق أنّ كلام علماء العربية في هذا الشّأن يوحى في عمومه بهذا التّوافق. فعلى الرّغم من صعوبة التّعريف الذي قدموه للأصوات الشّديدة ، فهناك دليل قوي يشير إلى أنّ فهمهم للصوت الشّديد يتفق-في عمومه- مع فهمنا لصوت الوقفة الانفجارية، ذلك دليل يتلخص في أم ما سموه بالحروف الشّديدة يقابل عندنا –

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص16.
[2] المرجع نفسه، ص16.
[3] المرجع نسفه، ص17.
[4] المرجع نفسه، ص61.

باستثناء واحد أو اثنين- ما نسميه بالوقفات الانفجارية "[1]. يرى القدامى أن الهمزة صوت شديد انفجاري موضعها الحلق.

ألف المد: هي فتحة طويلة.

الفتحة "وحدة صوتية تكون جزءا من نظام الحركات في اللغة العربية، وهي بهذا المعنى ليست كسرة أو ضمة. ولكنها من حيث النطق وآثاره السمعية، قد تكون ذات صور نطقية متعددة وذات آثار سمعية مختلفة.

"والملاحظ أن الشفاه حال النطق بالفتحة تكون في وضع محايد أي غير مضمومة وغير منفرجة (ضم الشفاه يكون مع الضمة وانفراجها مع الكسرة)، أو بعبارة أخرى تكون الشفاه مع المفتوحة، ومن هنا كانت تسميتها بالفتحة"[2]. والفتحة الطويلة مثل الفتحة القصيرة تختلفان في خاصيتين اثنتين:

أولا: "تظهر في فرق الكمية"[3]، حيث تستغرق الفتحة الطويلة زمنا أطول.

ثانيا: الفتحة الطويلة "تقارن وظائفها اللغوية في التركيب بوظائف الكسرة والضمة"[4].

الهمزة عند المحدثين:

"يتم نطق هذا الصّوت بأن تسد فتحة المزمار the gglottis الموجودة بين الوترين الصّوتين the vocah chords ، وذلك بانطباق هذين الوترين انطباقا تاما وحبس الهواء خلفهما، بحيث لا يمر من الحنجرة إلى الحلق وما بعده، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثا صوتا انفجاريا"[5]. فمن هذا التّعريف نجد بأن الهمزة صوت انفجاري ومخرجها الحنجرة. أمّا كيفية حدوثها فهي أن يمر الهواء ويغلق الممر تماما ثم يفتح فجأة فيحدث انفجار نتيجة للضغط الهوائي. إضافة إلى "إذا ما مر الهواء المندفع من الرئتين خلال هذين الوترين بحيث يجعلهما يتذبذبان بانتظام وبسرعة سمي الصّوت المنطوق آنئذ بالصوت المجهور[6]. فالوتران الصوتيان يتذبذبان بانتظام وبسرعة في حال النّطق بالهمزة.

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة ص 63
[2] المرجع نفسه، ص88.
[3] المرجع نفسه، ص89.
[4] المرجع نفسه، ص90.
[5] المرجع نفسه، ص91
[6] المرجع نفسه، ص58.

وهذا كان رأي بعض المحدثين في حين يراها آخرون صوتا مهموسا وهذا في نظرهم بسبب "عدم وجود التذبذب في الأوتار الصوتية"[1] فحتى يكون الصوت مجهورا وجب حدوث ذبذبات على مستوى الاوتار الصوتية. خلص هؤلاء إلى أنّ :

1. الهمزة صوت صامت له خواص الأصوات الصّامتة.
2. حنجرية فمخرجها الحنجرة وهي أقصى مواضع النّطق في الجهاز النّطقي ولا يشركها في ذلك إلا صوت الهواء.
3. وقفة انفجارية.

2- الواو والياء:

"صوتان مجهوران، فالوار في « أدعو » لها خواص الضمة (القصيرة) وتفترق عنها في الكمية فقط، ومدة النطقduration . إنها مثلها في الكيف ومختلفة عنها في الكم فقط. وهذه المعايير ذاتها تنطبق على الياء في « أرمي » : إنها كسرة طويلة ، أي : ضعف الكسرة القصيرة في الكم ولكنها مثلها تماما في الكيف"[2]، إذن الواو والياء صوتان صائتان مجهوران ويمثلان الحركة الطويلة.

ويكونان "صامتان consonants في نحو «وعد - يعد»، لأن الهواء الخارج من الرئتين عند نطقهما- وإن كان يخرج من وسط الفم - يقابله عائق من نوع ما ، يضيق مجرى الهواء ، بسبب اقتراب مؤخر اللسان من أقصى الحنك مع الواو ، ومقدمه من مقدم الحنك عند النطق بالياء. وبذلك فقدنا بعض سمات الحركات الخالصة التي تتمثل في الحرية الكاملة للهواء عند نطقهما، فشابهتا الأصوات الصامتة، وأصبحتا مرشحتين لانضمامهما"[3]. في حال إعاقة الهواء لهما في أي عضو من أعضاء جهاز النطق تفقدان الحرية الكاملة فتصبحان صامتتين.

الاعتماد على المعيار النطقي في الأساس لا يوصل إلى الحقيقة بل وجب الاعتماد معيار الوظيفة ودورهما في البناء اللغوي الواقعي . إنهما حركتان خالصتان في نحو: « أدعو- أرمى » لوقوعهما موقع الحركات، واستحالة ضمهما إلى الأصوات الصامتة، لامتناع تحريكهما في هذين المثالين ونحوهما بحركات. على عكس ما يحدث لهما في نحو « وعد - يعد »، إذ جاءنا متلوتين بالحركات الممثلة في الفتحة في المثالين. والواو والياء صوتان صامتان خالصان في نحو المثالين الأخيرين لوقوعهما موقع الأصوات الصامتة وجواز التبادل معها في كل مواقعهما. ففي حال التبادل نقول « نعد - تعد » بالنون في الأولى، والتاء في الثانية. ولا يمكن هنا أن نصنفهما حركات بحال، لأنهما متبوعتان بحركات.

[1] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص60.
[2] المرجع نفسه، ص96.
[3] المرجع نفسه، ص96.

مما سبق نجد مايلي:

1 - الواو والياء صوتان صامتان وظيفيًا إذا وقعتا في أول الكلمة، إذ من المحال عدهما حركتين، لامتناع بدء الكلمة العربية بالحركات.

2 – هما صوتان صامتان إذا أتبعتا بحركات إذ لا يمكن اجتماع حركتين متتاليتين في كلمة واحدة كما أشرنا إلى ذلك.

3 - الواو والياء صوتان صامتان إذا أصابهما التضعيف، نحو: « قوّام - ميّال ».[1]

"أمّا علاج اللغوين العرب القدامى وبعض المحدثين للواو والياء فقد جاء علاجا مضطريا لا يكشف كشفاً دقيقاً عن طبيعتهما، ويخلط خلطا واضحا بين قيمتهما ودورهما في البناء اللغوي."[2] حيث خلطوا بين الحرف والصوت وركزوا على ما يصيبها من إعلال وإقلاب وإبدال وحذف وأطلقوا عليها مصطلح حروف العلة.

[1] كما بشر، دراسات في علم اللغة، ينظر: ص96-97.
[2] المرجع نفسه، ص98.

تركيب:

* تتمثل أهم الفروق بين القدامى والمحدثين في:

- قواعد وضوابط المصطلح الصوتي:

- اتفق كلا الفريقين على ضرورة أن يكون المصطلح دقيقا وموجزا.

- أن يؤدى المعنى الواحد بلفظ واحد

-مواطن الاختلاف:

- كان القدامى أكثر حرصا على سلامة اللغة حيث اهتموا من ناحية مطابقتها للأوزان

- أما المحدثون نددوا بمبدأ حرية الباحث المحدثون أكثر اهتماما بالمصطلحات إذ نجدهم يعرفونها قبل استخدامها عكس القدامى

- تباينت آراء المحدثين في مصطلحات القدامى وانقسمت إلى ثلاث مواقف:

_ الموقف الأول أقر أصحابه بأن تناول القدامى لعلم الأصوات لا يضاهيه في الدقة اللغويين اليوم.

_ الموقف الثاني: يرى أصحابه أن المصطلح الصوتي القديم لا يتماشى والحداثة.

_ الموقف الثالث: موقف توفيقي بين الموقفين السابقين عملوا على إحياء المصطلحات التراثية بالإضافة إلى تعريبهم الكثير من المصطلحات الأجنبية.

- يتجلى الاختلاف بين القدماء والمحدثين عند تصنيف الأصوات في:

تقسيم المحدثين الأصوات على قسمين رئيسين، تنبني عليهما تكون الدراسات الصوتية الحديثة، وهما الصوامت والصوائت، وهو ما لم تهتم به الدراسات القديمة

قسم القدماء الأصوات على ستة عشر مخرجاً، وقستمها المحدثون على عشرة مخارج.

رتبها القدماء من الحلق إلى الشفتين، ورتبها المحدثون من الشفتين إلى الحنجرة.

جعل القدماء أصوات الهمزة والهاء من أصوات الحلق، وجعلها المحدثون بفضل الأجهزة الحديثة أصواتاً حنجرية أو مزمارية، علماً أن ابن سينا كان قد عرف أن مخرجهما من الحنجرة ولم يؤخذ به وقتها.

قسم القدماء الحلق على ثلاثة، أقصى الحلق، ووسط الحلق، وأدنى الحلق.

وقسم المحدثون الحنك على ثلاثة: حنكية، ووسط الحنك ، وأقصى الحنك.

على الترتيب الخلفي للمخارج جعل القدماء الغين والخاء حلقية قبل القاف اللهوية والكاف وهما عند المحدثين أصوات طبقية من أقصى الحنك بعد القاف ومن مخرج الكاف، وهو اختلاف شكلي.

جعل القدماء الأصوات النطعية، وهي الطاء والتاء والدال قبل الأسلية، وهي الزاي والسين والصاد، وهم جميعا من مخرج واحد يسمى الأسناني اللثوي عند المحدثين.

ويشمل الأسناني اللثوي عند المحدثين صوت الضاد، وهو عند القدماء من مخرج مستقل بعد الأصوات الشجرية (الغارية) أو منها عند بعضهم

اختلفوا في بعض المصطلحات، فقد استخدم القدماء مصطلح الشجرية على الشين والجيم والياء ، واستخدم المحدثون مصطلح الغارية .

استخدم القدماء مصطلح الأسلية على الصاد والسين والزاي والقطعية على الطاء والدال والتاء. وقد شملهم مصطلح الأسنانية اللثوية في الدراسات الحديثة.

لم يعتن القدماء بتحديد مفصل لمخارج الصوائت القصيرة والطويلة والفرق بينها وبين أشباهها، وهو ما فصل المحدثون القول فيه، مع التنويه إلى وقفات القدماء التي لا يستهان بها، لاسيما عند ابن جني وابن سينا.

انفرد ابن سينا عن القدماء بترتيب الأصوات، إذ بعد فراغه من الحديث عن الصوامت تحدث عن أشباهها، ثم عن الأصوات المصوتة. وأما المحدثون فقد اشتهر عندهم هذا التقسيم للأصوات على نوعين رئيسين هما الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة .

خاتمة:

كان من أهم أهداف هذا البحث الكشف على أهم الفوارق في علم الأصوات بين القدامى والمحدثين فتطرقنا أولا إلى الجانب الأول فطرحنا أهم ما جاء في التراث اللغوي الصوتي وكذا أهم إنجازات المحدثين في هذا المجال أمّا في الجانب الثاني ذكرنا أهم الاختلافات حيث كان لكل فئة زاوية نظر خاصة يصدر بها مفاهيم متباينة ولذلك فإن البحث في هذا المجال تنجم عنه النتائج التالية:

- الصوت في اللغة مأخوذ من أصل صحيح (ص، و، ت) لا هو بجسم ولا هو بصبغة فهو محسوس يدرك بحاسة السمع علم الأصوات هو العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات والحروف ومخارجها.

- تكمن أهميته في أنه يحافظ على اللغة، يسهّل تعليمها وكذا يُسْهم في علاج أمراض الكلام، تعليم الأداء، تعليم الصم، وعلاج عيوب النطق، ويساعد كذلك على تلقين علوم اللغة من نحو وصرف ودلالة....

- كان الهنود أول من درسوا علم الأصوات وقضايا اللغة حيث اتسمت دراستهم بالدقة وكان بانيني أبرز علماء القرن السادس أو السابع اهتموا بعدة قضايا أهمها_ : نشأة اللغة وعلاقة الأسماء بالمسميات حيث تطرقوا في البداية إلى دراسة أصل اللغة فهم يعتقدون أن لغتهم مقدسة أوجدها آندر وهو من ربط الأسماء بالمسميات فلا دخل للإنسان فيها كما أنهم توصلوا إلى الكيفية التي يتولد بها الصوت وينتقل ويتنوع بالإضافة إلى تفريقهم بين الأصوات الطبيعية والبشرية .

- أما اليونان فقد فقد درسوا الصوت في خضم الفلسفة فأدركوا أن الحرف لا يتجزأ، وأنه يدخل في تركيب صوت أعقد.

لم يعرف العرب القدامى الدرس الصوتي كعلم مستقل فتناولهم له كان في خضمّ علوم لغوية أخرى.

-كانت البداية من عند الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة العين المثير للدهشة هو الكم الهائل في الدرس الصوتي من ناحية المصطلح والمفاهيم فالعلماء العرب القدامى يعدون المؤسسين لهذا العلم.

-الغاية من هذه الدراسة حفظ القرآن الكريم من اللحن وكذا تسهيل تعلم العربية.

-نشأ علم الأصوات في ضفاف علوم أخرى فعلم الصرف كان الأقرب إذ يهتم هذا العلم ببنية الكلمة والتغيرات الصوتية التي تحصل فيه، أما في علم النحو ففي تتبع أواخر الكلم فأي تغير صوتي يصحبه تغير في المعنى، أمَّا بالنسبة لدارسي المعاجم فوجب عليهم أن يلموا بعلم الأصوات وذلك لتصنيفها، انبثقت هذه الدراسة من القراءات القرآنية ووجوهها

الصوتية، واستفاد منها البلاغيون كذلك حيث عرضوا للفصاحة حسب مخارج إئتلاف الحروف في الكلمة.

-أما بالنسبة للمحدثين: فتأثروا باللسانيات ومناهجها خاصة المنهج الوصفي

والتجريبي، إضافة إلى مبدأ الشمولية الذي يقضي بإبعاد اللسانيات عن الأشياء الفردية وإدماجها في سياق عام.

-فروع علم الأصوات الحديث: الصوتيات النطقية ومجالها دراسة جهاز النطق

وأعضائه، الصوتيات الفيزيائية يهتم بدراسة الخصائص المادية أوالفيزيائية لأصوات الكلام، الصوتيات السمعية والصوتيات المعملية

-أما جهودهم فتمثلت في تقسيمهم الأصوات إلى صوامت وحركات وميزوا بينها وكذا تعرضهم للمقاطع الصوتية وإعادة تقسيمهم لمخارج الأصوات.

✓ **تتمثل أهم الفروق بين القدامى والمحدثين في:**

- قواعد وضوابط المصطلح الصوتي:

- اتفق كلا الفريقين على ضرورة أن يكون المصطلح دقيقا وموجزا.

- أن يؤدى المعنى الواحد بلفظ واحد

-مواطن الاختلاف:

- كان القدامى أكثر حرصا على سلامة اللغة حيث اهتموا من ناحية مطابقتها للأوزان

- أما المحدثون نددوا بمبدأ حرية الباحث المحدثون أكثر اهتماما بالمصطلحات إذ نجدهم يعرفونها قبل استخدامها عكس القدامى

- تباينت آراء المحدثين في مصطلحات القدامى وانقسمت إلى ثلاث مواقف:

_ الموقف الأول أقر أصحابه بأن تناول القدامى لعلم الأصوات لا يضاهيه في الدقة اللغويين اليوم.

_ الموقف الثاني: يرى أصحابه أن المصطلح الصوتي القديم لا يتماشى والحداثة.

_ الموقف الثالث: موقف توفيقي بين الموقفين السابقين عملوا على إحياء المصطلحات التراثية بالإضافة إلى تعريبهم الكثير من المصطلحات الأجنبية.

- يتجلى الاختلاف بين القدماء والمحدثين عند تصنيف الأصوات في:

تقسيم المحدثين الأصوات على قسمين رئيسين، تنبني عليهما تكون الدراسات الصوتية الحديثة، وهما الصوامت والصوائت، وهو ما لم تهتم به الدراسات القديمة

قسم القدماء الأصوات على ستة عشر مخرجاً، وقستمها المحدثون على عشرة مخارج.

رتبها القدماء من الحلق إلى الشفتين، ورتبها المحدثون من الشفتين إلى الحنجرة.

جعل القدماء أصوات الهمزة والهاء من أصوات الحلق، وجعلها المحدثون بفضل الأجهزة الحديثة أصواتاً حنجرية أو مزمارية، علماً أن ابن سينا كان قد عرف أن مخرجهما من الحنجرة ولم يؤخذ به وقتها.

قسم القدماء الحلق على ثلاثة، أقصى الحلق، ووسط الحلق، وأدنى الحلق.

وقسم المحدثون الحنك على ثلاثة: حنكية، ووسط الحنك ، وأقصى الحنك.

على الترتيب الخلفي للمخارج جعل القدماء الغين والخاء حلقية قبل القاف اللهوية والكاف وهما عند المحدثين أصوات طبقية من أقصى الحنك بعد القاف ومن مخرج الكاف، وهو اختلاف شكلي.

جعل القدماء الأصوات النطعية، وهي الطاء والتاء والدال قبل الأسلية، وهي الزاي والسين والصاد، وهم جميعا من مخرج واحد يسمى الأسناني اللثوي عند المحدثين.

ويشمل الأسناني اللثوي عند المحدثين صوت الضاد، وهو عند القدماء من مخرج مستقل بعد الأصوات الشجرية (الغارية) أو منها عند بعضهم

اختلفوا في بعض المصطلحات، فقد استخدم القدماء مصطلح الشجرية على الشين والجيم والياء ، واستخدم المحدثون مصطلح الغارية .

استخدم القدماء مصطلح الأسلية على الصاد والسين والزاي والقطعية على الطاء والدال والتاء. وقد شملهم مصطلح الأسنانية اللثوية في الدراسات الحديثة.

لم يعتن القدماء بتحديد مفصل لمخارج الصوائت القصيرة والطويلة والفرق بينها وبين أشباهها، وهو ما فصل المحدثون القول فيه، مع التنويه إلى وقفات القدماء التي لا يستهان بها، لاسيما عند ابن جني وابن سينا.

انفرد ابن سينا عن القدماء بترتيب الأصوات، إذ بعد فراغه من الحديث عن الصوامت تحدث عن أشباهها، ثم عن الأصوات المصوتة. وأما المحدثون فقد اشتهر عندهم هذا التقسيم للأصوات على نوعين رئيسين هما الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة .

قائمة المصادر والمراجع:

❖ **المصادر:**

- أبو بكر الرازي:

_مختار الصحاح، تعليق: مصطفى ديب أليغا، دار الهدى، دت، عين مليلة، الجزائر.

- ابن الجزري:

_متن الجزرية، في التجويد، دار البلاغ، 1996.

- بن جني:

_الخصائص، تحقيق: محمد علي مختار، ج1، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، ط4، 1999، القاهرة.

_سر صناعة الإعراب، ج1، تحقيق حسن الهنداوي، دار القلم، ط2، 1993.

- ابن فارس:

_ مقاييس اللغة، دار الفكر، ج1، دط، 1979.

- ابن منظور:

_لسان العرب، مادة (ص، و، ت).

- ابن يعيش:

_شرح المفصل، ج10، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- الأستربادي:

_شرح الشافية، تحقيق: محمد الزقزاق، ج3، مطبعة حجازي، 1983.

- جلال الدين السيوطي:

_المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، دت، بيروت، لبنان.

- الخليل بن أحمد الفراهيدي:

_العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988، لبنان

- الزمخشري:

_المفصل، تحقيق علي بومحلم، دارالهلال، ط1، 1993، بيروت، لبنان.

- الفخر الرازي :

_التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، ط3، دت، بيروت، لبنان.

- قدامة بن جعفر:

_نقد الشعر، تحقيق: عبد المنعم خفاجة، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، لبنان.

❖ المراجع:

✓ المراجع العربية:

- إبراهيم أنيس :

_الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1999.

_دلالة الألفاظ، دار أنجلو المصرية، ط4، 1980.

- أحمد محمد قدور:

_اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر اللغوي، ط1، 2001.

- أحمد مختار عمر:

_البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، 2003، القاهرة، مصر.

_دراسة الصوت اللغوي، دار الكتب، ط4، 1994، القاهرة، مصر.

- تمام حسان:

_اللغة العربية بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، دط، 1980، الدارالبيضاء، المغرب .
_اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، دط، دت، الدار البيضاء، المغرب

_مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، 1988، الدار البيضاء، المغرب.

- جرجي زيدان :

_فلسفة اللغة، دار الحداثة، ط2، 1982.

- حسام البهنساوي:

_الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، مكتبة الزهراء الشرق، ط1، 2005،القاهرة، مصر.

- رمضان عبد التواب:

_ التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مطبعة المدني، دط، 1983، القاهرة، مصر.

_سامي عياد حنا وكريم حسام الدين، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان.

- زبير دراقي:

_محاضرات في اللسلنيات التاريخية والعامة، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، الجزائر.

- سعد مصلوح:

_دراسة السمع والكلام، عالم الكتب، 2000، القاهرة، مصر

- شرف الدين الراجحي،

_سامي عياد حنا، مبادئ علم اللسانيات، دار المعرفة الجامعية، 2000.

شفيقة العلوي:

_أهمية علم الأصوات في اكتساب اللغة، المدرسة العليا للأساتذة.، بوزريعة، الجزائر.

- شوقي ضيف:

_المدارس النحوية، دار المعارف، ط8، 1998.

- صبحي صالح:

_دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، دط، 1981، بيروت، لبنان.

- عبد العزيز:

_ الصيغ، المصطلح الصوتي، دار الفكر، ط1، 2000

- عبد اللطيف محمد الخطيب:

_ضاد العربية في ضوء القراءات القرآنية، عالم الكتب، ط1، 2001.

- عبده الراجحي:

_فقه اللغة العربية، دار النهضة العربية، 1979.

- غانم قدوري الحمد:

_المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي، 2002، القاهرة، مصر.

- كمال بشر:

_ دراسات في علم اللغة، دار غريب، للطباعة، دط، 1998، القاهرة، مصر.

_علم الأصوات، دار غريب، 2000، القاهرة.

- محمد الأنطاكي:

_الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهباء، 1969،دمشق، سوريا.

- محمد سالم محيسن:

_القراءات وآثارها في علوم العربية، دار الجيل، ط1، 1998، بيروت، لبنان.

- محمد علي الخولي:

_المدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر، 2000، الأردن.

- محمد محيي الدين أحمد محمود:

_في علم اللغة، مكتبة الآداب، 2001، القاهرة، مصر.

- محمود السعران:

_علم اللغة، دار الفكر العربي، ط2، 1997، القاهرة، مصر.

- محمود فهمي حجازي:

مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر.

- هشام خالدي:

_صناعة المصطلح الصوتي، في اللسان العربي الحديث، دار الكتب العلمية، ط1، 2012، بيروت، لبنان.

- يوسف غازي:

_مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العربي الجامعية، ط1، 1985، بيروت لبنان.

✓ **المراجع المترجمة:**

- جان كانتينو:

_دروس في علم أصوات العربية، ترصالح القرمادي، مركز البحوث والدراسات الاقتصادية، 1966.

- روي هاريس:

_توليت تيلر، أعلام الفكر اللغوي، التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير، تر:أحمد شاكر الكلالي دار الكتب الجديدة، ط1، 2004، بيروت، لبنان.

- فرديناند ديسوسير:

_محاضرات في الألسنية العامة، تر: يوسف غازي ومجيد النصر ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، دط، 1986.

✓ **المقالات:**

- عمار ساسي:

_إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين، حوليات جامعة الجزائر، العدد 11، 1998.

✓ **المحاضرات :**

- مسعود بودوخة:

_محاضرات في الصوتيات، بيت الحكمة، ط1 كلية الآداب واللغات، جامعة سطيف، 2013، الجزائر.

الملحق

قصيدة الجزرية للإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري شاملة كاملة لكل مخارج الأصوات حسب تصنيف القدامى لها:

يقول راجي عفوِ ربٍّ سامعِ .... محمدُ بنُ الجزريِّ الّشافعي

الحمــدُ للهِ وصلــى اللــهُ .... علــى نبيّــهِ ومُصطَفَــاهُ

محمـدٍ وآله وصحبـــه ..... ومقرئِ القُرآنِ مـَعْ مُحبِّــه

وَبَعـدُ إنَّ هــذه مُقدِّمــَه ..... فيمـا على قارئِهِ أنْ يَعلمَــه

إذ واجـبٌ عليهـمُ محَّتـم ..... قبلَ الشّروعِ أولاً أنْ يَعلَموا

مَخارِجَ الحـروفِ والصِّفـاتِ ..... لِيلفِظُـوا بِأفصَـحِ اللُّغَـاتِ

مُحرِّري التَّجـويدِ وَالمـواقفِ ..... ومَا الَّذي رُسِمَ في المصَـاحِف

مِنْ كُلِّ مقطوعٍ وموصولٍ بِها ..... وتــاءِ أُنثى لم تُكـتَبْ بِهـَا

باب مخارج الحروف

مَخَـارِجُ الحُــرُوفِ سَبعةَ عَشَرْ ..... على الّذي يَخْتــارُهُ مَنِ اخْتَـبَر

للجَــوفِ ألِفٌ وأختــاها وهيْ ..... حـُرُوفُ مَدٍّ للـــهواء تَنْتَهــي

ثُمَّ لأقصى الحَلــقِ هَمْــزٌ هاءُ ..... .ومِــنْ وَسَطِــهِ فَعَـينٌ حَـــاءُ

أدْنــاهُ غَينٌ خَــاؤُها والقــافُ ..... أقْصى اللِّسانِ فَــوقُ ثُمَّ الـكَافُ

أسفل والوسْطُ فجيــمُ الشِّينُ يا ..... والضَّادُ مِنْ حافَتِـــهِ إذْ وَلِيَــا

الأَضْراس مِنْ أيسَرَ أوْ يُمْنَـاها ..... والـــلاَّمُ أدْنـــاها لِمُنْتَهاهـــا

والنُّون مِنْ طَرَفِهِ تحتُ اجْعَلُوا ..... والرَّا يُدانيـــهِ لِظَـــهرٍ أدخـلُ

والطَّاءُ والدَّال وتا منــه ، ومِن ..... عُليا الثَّنايا والصَّفــيرُ مُستَكِـنْ

منه ومن فوقِ الثَّنايــا السُّفلى ..... والظَّــاءُ والــذَّالُ وثــا لِلعُلــيا

من طَرَفيهما ومِن بطــنِ الشَّفَهْ ..... فالفا مع اطْراف الثَّنايا المُشرفة

للشَّفتيــن الــواو بــاءٌ ميـــــمُ ..... وغنَّـــةٌ مخرجُهـــا الـــخيشومْ

باب صفات الحروف

صفاتُهـــا جَهْرٌ ورِخْـوٌ مُسْتَفِلْ ..... مُنْفَتِـــحٌ مُصْمَـتَـــةٌ وَالضِّدَّ قُـــلْ

ـَهْمُوسُها (فَحَثَّهُ شَخْصٌ سَكَتْ) ..... شديدُها لَفــظُ (أجِــدْ قَــطٍ بَكَــتْ)

وبينَ رِخْوٍ والشديدِ (لِــنْ عُمَرْ) ..... وَسَبْعُ عُلْوٍ (خُصَّ ضَغْطٍ قِظْ) حَصَرْ

وصَادُ ضادٌ ، طاءُ ظاءٌ مُطْبَقَهْ ..... وَ(فَرَّ مِنْ لُــبِّ) الحروفُ المُذلَقَـهْ

صفـــيرُها صادٌ وزايٌ سيــنُ ..... قلقلـــةٌ (قُـــطْبُ جَــدٍ) والليـــنُ

واوٌ ويـــاءٌ سُكِّنَـــا وانفتَحـــا ..... قَبْلَهمـــا والانْـــحـــرافُ صُحِّحـــا

في الـــلاَّم والرَّا وبِتَكْرِيرٍ جُعِل ..... ولـــلتَّفَشِّي الشِّـــينُ ضاداً استَطِـــلْ

باب التجويد

والأَخْـذُ بالتَّجويد حَتْـمٌ لازمُ ..... مَنْ لَـمْ يصحِّـحِ القُـرَانَ آثِمُ

لأنّـَهُ بِـــهِ الإلـــهُ أنْـــزَلا ..... وَهَـــكَذا مِنْـــهُ إلينـا وَصَلا

وهُـوَ أيضاً حِلْيَـــةُ التِّلاوةِ ..... وَزِينـــــةُ الأداءِ والقـــراءَةِ

وهُوَ إعطاءُ الحروفِ حَقَّها ..... مِنْ كـُلِّ صِفَـةٍ ومُستَحَقَّـها

وَرَدُ كُلِّ واحـــدٍ لأصلِـــهِ .....واللفـــظُ في نَظِيـــرِهِ كمثلِـهِ

مُكَمَّلاً مِنْ غـيرِ ما تكـلُّفِ ..... باللُّطفِ في النُّطقِ بلا تَعسُّفِ

وليسَ بينـــهُ وبينَ تركِـــهِ ..... إلاَّ رياضـــةُ امرِئٍ بفكِّـــهِ

باب الترقيق وبعض التنبيهات

فَرقِّقَـــنْ مُستَفِـــلاً مِن أحـرُفِ ..... وحـــاذِرَنْ تَفخـــيمَ لفظِ الألِـفِ

وهَمـزَ الحمـــدُ أعـوذُ اِهدينـا .. اللَّـــــهُ ثـُـمَّ لامَ لِلَّـــــهِ لنا

وليتـلَطَّفْ وعلى الله ولا الضْ ..... والميـمَ من مَخْمَصَةٍ ومِن مَـرَضْ

وبـــاءَ بَـــرْقٍ بـــاطلٍ بِهِمْ بِـذي ..... واحرِصْ على الشَّدَّةِ والجهرِ الّذي

فيها وفي الجيمِ كَحُبِّ الصَّبْـرِ ..... رَبْـوَةٍ اجْتُثَّـــتْ وَحَـــجِّ الفجـــرِ

وبَيِّنَـــنْ مُقَـلْقَـــلاً إنْ سكَنَـــا ..... وإنْ يكـُـنْ في الوقفِ كان أبْيَنَـــا

وحاءَ حصحَصَ أحَطْتُ الحقُّ ..... وسينَ مُستقيـمِ يَسْطُـــو يَسْقُـــو

باب الراءات

ورَقِّـقِ الـــرَّاءَ إذا ما كُسِرَتْ ..... كَذاكَ بَعدَ الكَسرِ حَيثُ سَكَنَتْ

إنْ لمْ تكنْ مِن قَبلِ حَرفِ استِعلا ..... أو كانتِ الكَسرَةُ ليست أصـلاَ

والخُلْفُ في فِرقٍ لكَسرٍ يوجـــدُ ..... وأخْــفِ تـكريـراً إذا تُشَدَّدُ

باب اللامات وأحكام متفرقة

وفَخِّـمِ الـلامَ من اسمِ اللهِ ..... عَن فَتـــحٍ أو ضَـــمٍ كَعَبدُ اللهِ

وَحَرفَ الاستعلاءِ فَخِّم واخصُصَا ..... الإطباقَ أقوى نَحو قالَ والعَصـا

وبَيِّنِ الإطباقَ من أحـطتُ مَـع ..... بَسَطتَ والخُلفُ بِنَخلُقكُم وَقَـعْ

واحرِصْ على الُّسكونِ في جَعلنـا ..... أنْعَمتَ والمغضوبِ مع ضَللنـــا

وخَلِّــصِ انفتـاحَ مَحذوراً عَسى ..... خَوفَ اشتباهِهِ بمحظوراً عَصـى

وراعِ شِـدَّةً بـــكافٍ وبِتـا ..... كَشِرْكِكُـــمْ وتتوفَّـــى فِتنَتَـــا

ادغام المتماثلين والمتجانسين

وأوَّلَي مِثـــلٍ وجِنسٍ إنْ سَكَنْ ..... أدغِم كَقُلْ رَبِّ وَبَل لا وأبِنْ

في يَومِ مَع قالوا وَهُمْ وَقُلْ نَعَمْ ..... سَبَّحهُ لا تُزِغ قُلُوبَ فالتَقَـمْ

باب الضاد والظاء

والضـــادَ باستطالـةٍ ومَخْـرَجِ ..... مَيِّـزْ مِنَ الظَّـاءِ وَكُلُّها تَجِـــيْ

في الظَّعْنِ ظِلُّ الظُّهرِ عُظْمُ الحِفْظِ ..... أيـقِظْ وأَنْظِرْ عَظْمَ ظَهْرِ اللَّفْظِ

ظـاهِرْ لَظَى شُواظُ كَظمٍ ظَلَمـــا ..... أُغْلُــظْ ظَلامَ ظُفْرٍ انتظِرْ ظَـمَا

أظفَـَـر ظَنّاً كيفَ جَـا وَعِظْ سِوى ..... عِضينَ ظَلَّ النَّحلِ زُخْرُفٍ سَوا

وظَلْـتَ ظَلْـتُمْ وَبـرُومٍ ظَـلـُّـوا ..... كالحِجْـرِ ظَلَّـتْ شُعَرا نَظَـلُّ

يَظْـلَـلْـنَ مَحظُوراً مَعَ المُحتَظِـرِ ..... وَكُـنْتَ فَـظّاً وجَمـيعَ النَّـظَرِ

إلاَّ بِوَيلٍ هـــلْ وأولـــى ناضِرهْ ..... والغَيظُ لا الرَّعـدُ وهودٌ قاصِرَه ْ

والحــظُّ لا الحــضُّ على الطَّعامِ ..... وفـــي ظَنيــنٍ الخـِلافُ سامي

باب التحذيرات

وإنْ تـــــلاقَيـــا البَيـــــانُ لازِمْ ..... أَنْقَضَ ظَهرَكَ يَعَضُّ الظَّالِمُ

واضْطُرَّ مَعْ وَ عَظْتَ مَع أفَضْتُمُ ..... وَصَفَّ ها جِبَاهُهُمْ عَلَيهِـمُ

أحكام النون والميم المشددتين والميم الساكنة

وَأَظْهِـــرِ الغُنَّةَ مِنْ نُونٍ وَمِنْ ..... مِيـــمٍ إذا مَا شُدِّدَا وأخْفِيـــــنْ

الميـــمَ إنْ تَسْكـُنْ بِغُنَّـــةٍ لَدَى ..... بَاءٍ على المُخْتارِ مِنْ أهْلِ الأدَا

وَأظْهِرَنْها عِنْدَ بَاقي الأحْرُفِ ..... وَاحْذَرْ لَدَى وَاوٍ وفَا أنْ تَخْتَفِـي

أحكام النون الساكنة والتنوين

وَحُكـــمَ تَنْـــوينٍ وَنـــــونٍ يُلفَى ..... إظْهـــارٌ ادْغامٌ وَقَلْبٌ إخْفَـا

فَعِنْدَ حَرْفِ الحَلْقِ أظْهِرْ وادَّغِمْ ..... في اللاَّمِ وَالرَّا لا بِغُنَّةٍ لَـزِمْ

وَأدْغِمـــنْ بِغُنَّـــةٍ في يـومـــنُ ..... إلاَّ بِكِلْمـــةٍ كَدُنْيا عَنْوَنـــوا

وَالقَلْـبُ عِنـْدَ البَا بِغُنَّةٍ كـَذا ..... الإخْفا لَدَى بَاقي الحُروفِ أُخِذَا

باب الممدود

وَالمَـــدُّ لازِمٌ وَواجِـــبٌ أتَى ..... وَجَائـــزٌ وَهْـــوَ وَ قَصْرٌ ثَبَتَا

فَلازِمٌ إنْ جَاءَ بَعْدَ حَرْفِ مَدّ ..... ساكِنُ حَالَيـــنِ وَ بِالطُّول يُمَدّ

وَواجِبٌ إنْ جَاءَ قَبْلَ هَمْزَةٍ ..... مُتَّصِلاً إنْ جُمِعنـــا بكلْمَـــــةِ

وَجَائِـــرٌ إذا أتَـــى مُنْفَصِلا ..... أو عَرَضَ السُّ كُنُ وَقْفاً مُسْجَلاً

باب الوقف والابتداء

وَبَعْـــدَ تَجْويـــدِكَ لِلحُـروفِ ..... لابُـــدَّ مـــنْ مَعْرِفَـــةِ الوُقُوفِ

والابْـتداءِ وَهـــيَ تُقْسَمُ إذَنْ .....ثَـلاثَـةً تـامٌ وكـــافٍ وَحَسَنْ

وَهـــيَ لِمَا تَمَّ فَإنْ لَمْ يُوجَـــدِ ..... تَعَلُّـــقٌ أو كانَ مَعْنَىً فَابْتَـــدي

فَالتَّـــامُ فَالكافي وَلَفْظاً فَامْنَعَـــنْ ..... إلاَّ رَؤُوسَ الآيِ جَوِّزْ فَالحَسَنْ

وغَيـــرُ مَا تَمَّ قَبيحٌ وَلـــهُ ..... الوَقـفُ مُضْطـــرّاً ويَبْدَا قَبْلَهُ

وليسَ في القُرآنِ مِنْ وَقْفٍ يَجِبْ ..... وَ لا حَـــرَامٌ غَيرُ مِا لَهُ سَبَبْ

باب المقطوع والموصول

وَاعْرِفْ لِمَقـــطُوعٍ وَمَوْصُولٍ وَتَا ..... في المُصْحَفِ الإمَامِ فِيمَا قَدْ أتَـــى

فَاقْـطَعْ بِـعَشْرِ كَلِمـاتٍ أن لاَ ..... مَـــعْ مَـــلجأَ وَ لا إلـــــــهَ إلاّ

وَتعـــبدوا ياسيـــنَ ثانـــي هُـودَ لا ..... يُشرِكْنَ تُشْرِكْ يَدْخُلَنْ تَعلُـوا على

أن لا يقولوا لاَ أقـــولَ إنْ مَـــا ..... بالرَّعْدِ وَ المَفْتُوحَ صِلْ وَ عَنْ مَاَ

نُهُوا اقْطَعُوا مِنْ مَا بـــرُومٍ والنِّسَا ..... خُـــلْفُ المنَافِقِيـــنَ أمْ مَنْ أسَّسَا

فُصِّلَـتِ النِّسا وَذِبْـــحٍ حَيْثُ ما ..... وأنْ لـــمِ المفتـــوحَ كَسْرُ إنَّ مـــا

اَلانـــعامَ والمفتـــوحَ يَدْعونَ مَعَا ..... وَخُلْفُ اَلانْفـــالِ ونَحْـــلٍ وَقَعَـــا

وكـــلِّ مَا سَألْتُمُـــوهُ وَاْختـــلِفْ ..... رُدُّوا كَذَا قُلْ بِئسَمَا والوَصْلَ صِفْ

خَلَفتُمُوني واشتَروْا في ما اقْطَعا ..... أوحـــيْ أفضْتُـــمُ اشْتَهَتْ يَبْلُو مَعَا

ثَاني فَعَلْـــنَ وَقَعَتْ رُومٌ كِـــلاَ ..... تَنْزِيـــلُ شُعَرَا وَغَيـرَها صِـــــلاَ

فأيْنَما كالنَّحل صِلْ وَمُخْتَـــلِفْ ..... في الشُّعَرا الأحزَابِ وَالنِّسا وُصِفْ

وَصِلْ فَإلـَّم هُـــودَ ألَنَّ نَجْعَلاَ ..... نَجْمَعَ كَيْـلا تَحزَنُوا تَأسَوْا عَلَـــى

حَجُّ عَلَيكَ حـــرَجٌ وَقَطْعُهُـــم ..... عَنْ مَنْ يَشَاءُ مَنْ تَولـَّى يَوْمَ هُـــمْ

وَمَالِ هَـــذا وَالـَّذينَ هَـــؤلا ..... تحيـــــنَ في الإمامِ صِلْ وَوُهـِّلا

وَوَزَنُوهُـــمُ وَ كالـــوُهُمْ صِلِ ..... كـّــذا مِنَ الْ وَيَا وَهَا لا تَفْصـــل

باب التاءات

ورحمتُ الزُّخـــرُفِ بِالتَّـا زَبَرَهْ ..... الاَعْرافِ رُومٍ هودَ كافِ البَقـرَهْ

نِعْمَتُهـــــا ثَلاثُ نَحْـــلٍ إبرَهَمْ ..... مَعاً أخِيرَاتٌ عُقـُودُ الثـَّانِ هَـمْ

لَقْمـانُ ثُـمَّ فاطِـرٌ كَالطُّورِ .....عِمْرَانَ لَعْنَـــتَ بِهَـا وَالـنُّـور

وَامْرأتُ يُوسُفَ عِمْرَانَ الْقَصَصْ ..... تَحْرِيْمُ مَعْصِيَتْ بِقَدْ سَمِعْ يُخَـصْ

شَجَـــــــرَتُ الدُّخَانِ سُنَّتْ فَاطِرِ ..... كُلاَّ وَ الاَ نْفـَالِ وَحَرْفَ غَافِرِ

قـــرَّتُ عَينٍ جَـــنَّتٌ في وَقَعَتْ ..... فِطْرَتْ بَقِيّـَتْ وَابـْنَتٌ وَكـَلِمَتْ

أوسَطَ الاَعرافِ وَكَلٌّ ما اخْتُلِفْ ..... جَمْعَاً وَفـَرْداً فِيْهِ بِالتَّـــاءِ عُرِفْ

باب همزة الوصل

وَابْدَأ بِهَمْزِ الوَصْلِ مِنْ فِعْلٍ بِضَمْ ..... إنْ كانَ ثَالِـثٌ مِنَ الفِعــلِ يُضَمْ

وَاكْسِرهُ حَالَ الكَسْرِ والفَتْحِ وَفـــي ..... الاَسماءِ غَيْرَ الاَّمِ كَسْرُها وَفي

ابْنِ مَعَ ابْنَـةِ امـْرِئٍ وَاثْنَيـْنِ ..... وَامْـرَأةٍ وَاسْمٍ مَعَ اثـْنَتَيْنِ

باب الرّوم والاشمام

وَحاذِرِ الوَقْفَ بِكُلِّ الحركَهْ ..... إلاَّ إذا رُمْتَ فَبَعْضُ الحَرَكَـهْ

إلاَّ بِفُتْحٍ أو بِنَصْبٍ وأشِمْ ..... إشارَةً بِالضـَّمِّ في رَفْـعٍ وَضَمْ

الخاتمة

وَقَدْ تَـقَضَّى نَظْمِيَ المقَدِّمَه ..... مِنِّي لِقارئِ القـُرانِ تَقْدِمهْ

وَالحَمـْدُ لِلـَّهِ لـَها خِتـــامُ ..... ثُمَّ الـصـَّلاةُ بَعده والسَّلامُ

على النَّبيِّ المُصْطـَفَى وَآلِهِ ..... وَصَحْبِهِ وَتابِعي مِنْوالِـهِ[1]

---

1 - متن الجزرية تأليف شمس الدين محمد بن الجزري الشافعي. ط1 (751-833ه/135-1429م) مكتبة الصفا، (قصيدة الجزرية للإمام شمس الدين محمد بن محمد الجزري).

الصورة للمخارج (دكتور محمود يوسف)

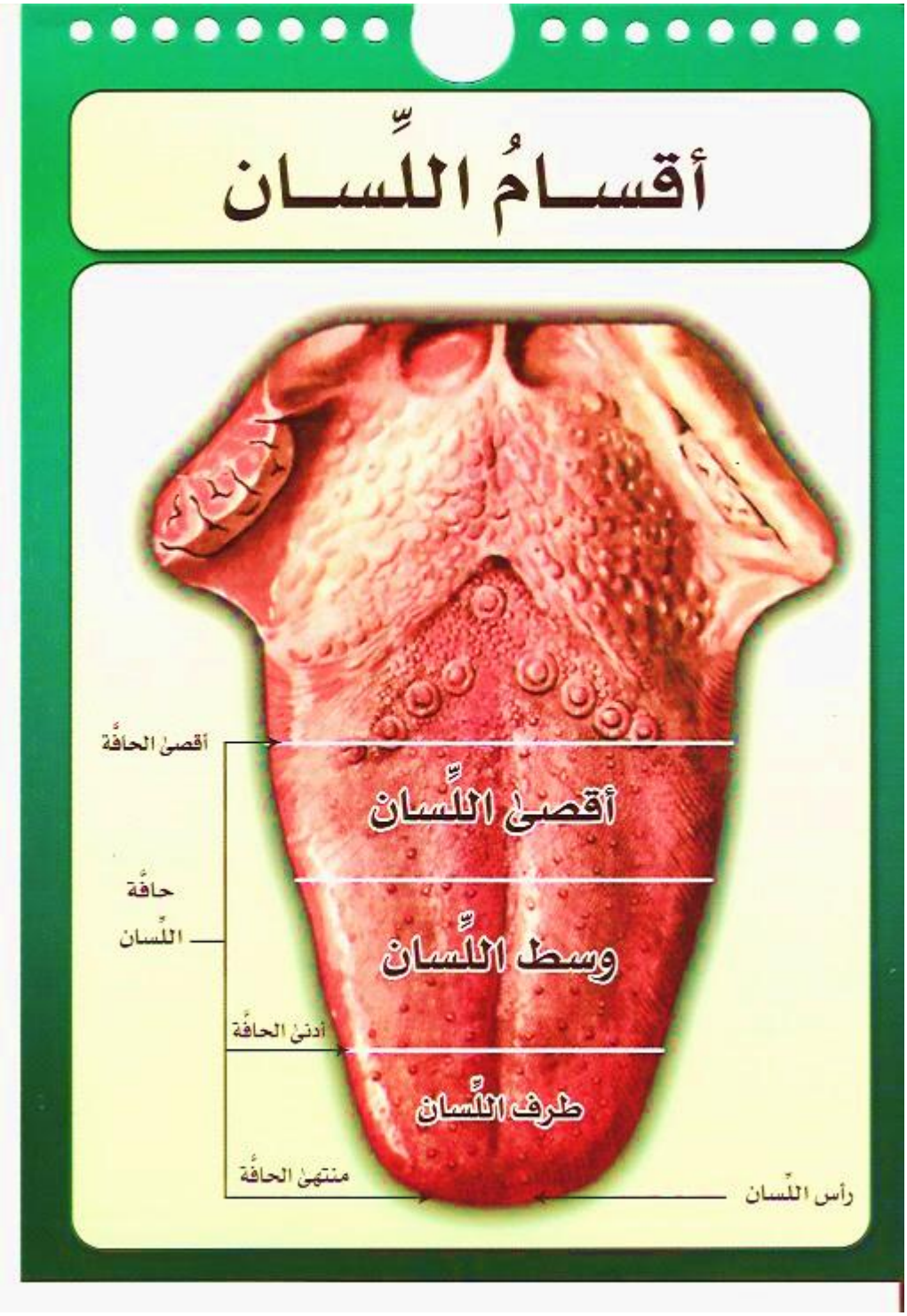

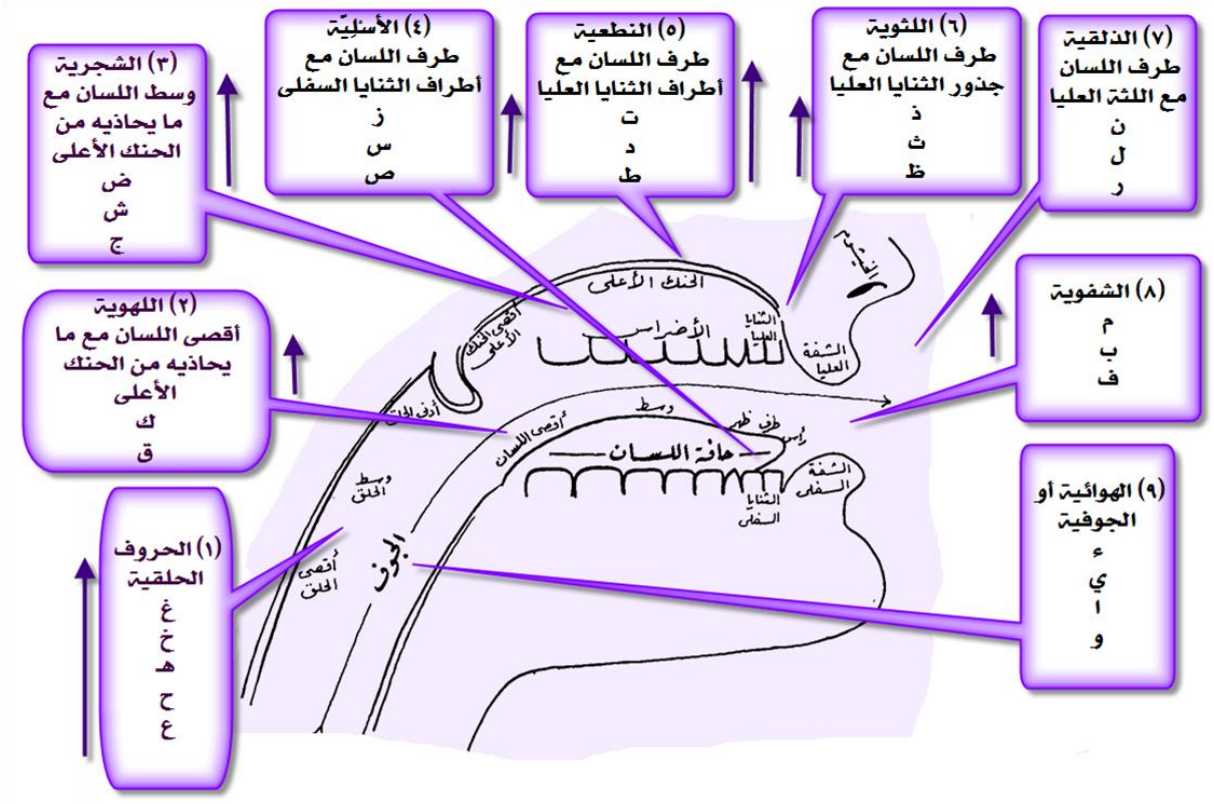

(أعضاء النطق ومخارج الحروف عند الخليل بن أحمد وفق الترتيب الصوتي)
(الترتيب من الأسفل إلى الأعلى) د. محمود

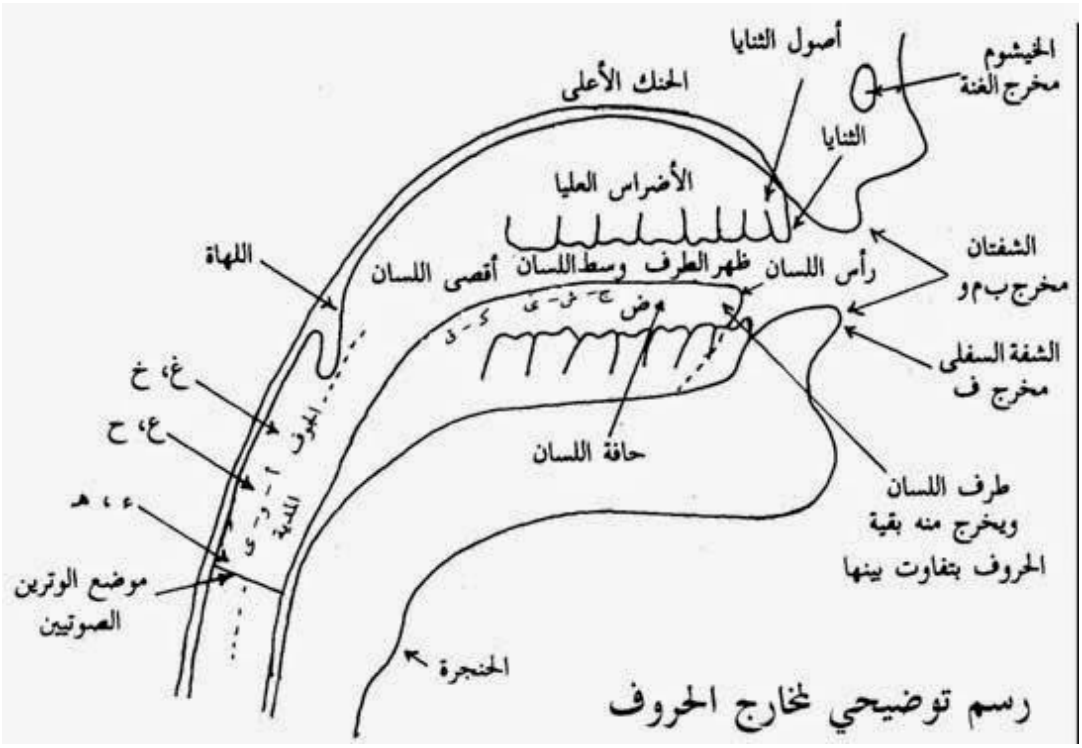

وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الأمامية

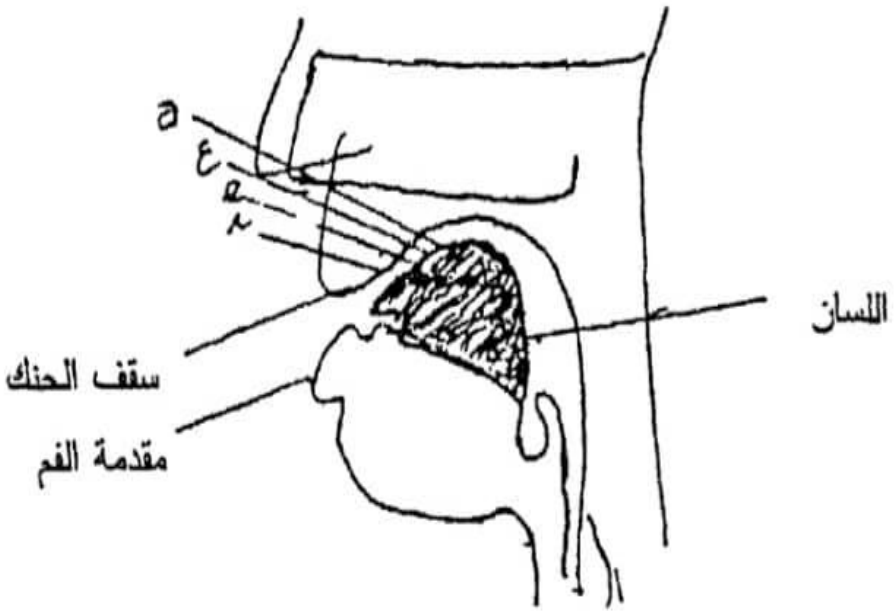

وضع اللسان بالنسبة لسقف الحنك عند النطق بالحركات الخلفية.

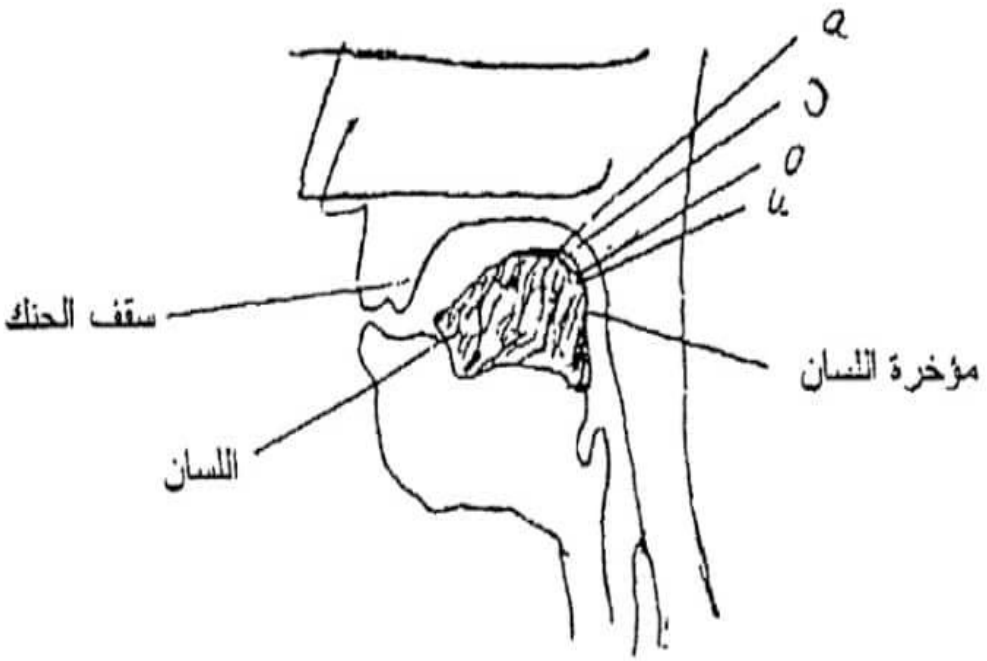

Favorite Quotes

~ . و إذا إبتليتهم صبروا . . و إذا أذنبوا إستغفروا

ملخص مخارج الحروف
عدد مخارج الحروف ١٧ مخرجاً تقع في ٥ مواضع وهي

الجوف

وبه **مخرج واحد ٣ حروف** هي :

- الألف الساكنة المفتوح ماقبلها
- الواو الساكنة المضموم ماقبلها
- الياء الساكنة المكسور ماقبلها

هذه الحروف ليس لها حيز محقق تنتهي اليه بل تنتهي بانتهاء الصوت.

تعريف الجوف : **هو الخلاء الداخل في الحلق والفم وهو موضع ومخرج بأن واحد**

تسمى هذه الحروف (حروف جوفية هوائية مقدرة)

الحلق

وبه **٣ مخارج لـ ٦ حروف** موزعة على ثلاثة أجزاء وهي:

١ - أقصى الحلق ويخرج منها حرفان (ء - هـ) .

٢ - وسط الحلق يخرج منه حرفان (ع - ح) .

٣ - أدنى الحلق يخرج منه (غ - خ) .

وتسمى با لحروف الحلقية.

اللسان

فيه **١٠ مخارج لـ ١٨ حرفا** موزعة على أربعة أجزاء وهي:

- أقصى اللسان
- وسط اللسان
- حافة اللسان
- طرف اللسان : وفيه ٥ مخارج ل ١١ حرفاً هي

أقصى اللسان

وبه مخرجان هما :

١ - **القاف :** تخرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى من المنطقة الرخوة.

٢ - **الكاف:** تخرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى من المنطقة القاسية بسميان .(حرفين لهويين).

وسط اللسان

وبه مخرج واحد لثلاثة حروف هي :

(الجيم و الشين و الياء الغير مدية)

وتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى .

وتسمى بالحروف الشجرية .

حافة اللسان

وبه مخرجان لحرفين هما :

الضاد تخرج من احدى حافتي اللسان أو الحافتين معا مع ما يحاذيها من الصفحة الداخلية للأضراس العليا يمينا وشمالا.

اللام تخرج من أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيها من لثة الأسنان العليا (الضاحكين و النابين و الرباعيتين و الثنيتين).

طرف اللسان : وفيه ٥ مخارج ل ١١ حرفاً هي

النون	الراء	ط – د – ت	ص – س - ز	ظ ، ذ ، ث
يخرج من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الثنيتين العلويتين	يخرج من طرف اللسان مع ظهره مع ما يحاذيه من لثة الثنيتين العلويتين	تخرج من طرف اللسان من جهة ظهره مع ما يحاذيها من أصول الثنيتين العلويتين (النطعية)	تخرج بوضع طرف اللسان عند الصفحة الداخلية للثنيتين السفليتين ويندفع الصوت مصطدما بها وبالصفحة الداخلية للثنيتين العلويتين ، فمرور الصوت من الحيز بينهما يحدث صوت الصفير (الأسلية)	يخرج من طرف اللسان من جهة ظهره وأطراف الثنيتين العلويتين (اللثوية)

تسمى : (ل – ن – ر) بالحروف الذلقية

الشفتان

فيهما مخرجان لأربعة حروف

- المخرج الأول: **(الفاء)** تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنيتين العلويتين
- **الواو** : من بين الشفتين معاً بانضمامهما
- **الميم** : من بين الشفتين معاً بانطباقها
- **الباء** : من بين الشفتين معاً بانطباق أقوى .

الخيشوم

هو خرق الانف المنجذب إلى داخل الفم، وهو مخرج **الغنة**.

تعريف الغنة :

لغة : هو صوت أغن يخرج من الخيشوم لاعمل للسان فيه.

اصطلاح : صوت أغن مركب في جسم النون - ولو تنوينا - والميم .

حرفي الغنة هما الميم والنون

الفهرس:

العنوان	الصفحة
المقدمة:	أ- ت
المدخل: لمحة عن علم الأصوات.	14-1
-المبحث الأول: مفهوم علم الأصوات وأهميته.....	7-2
-المبحث الثاني: الدراسات الصوتية القديمة(عند الهنود واليونان)...	13-8
التركيب.....	14
الفصل الأول: علم الأصوات العربي النشأة والتحول.	34-15
-المبحث الأول: نشأة علم الأصوات العربي.	24-16
✓ الغاية من دراسة علم الأصوات في القديم.....	18-16
✓ علم الأصوات وعلوم العربية المحيطة.....	20-19
✓ جهود العرب القدامى.....	24-20
-المبحث الثاني: علم الأصوات العربي الحديث (التحول).	34-25
✓ علم الأصوات الحديث واللسانيات.....	26-25
✓ فروع علم الأصوات.....	30-26
✓ جهود العرب المحدثين.....	34-31
التركيب.....	35
الفصل الثاني: علم الأصوات بين الأصالة والحداثة.	65-36
-المبحث الأول: الخلافات بين الصوتيين القدامى والمحدثين.	45-37
✓ الاصطلاح الصوتي بين القدامى والمحدثين.....	39-37
✓ رأي المحدثين في مصطلحات القدامى.....	43-40
✓ مناهج البحث والتدوين عند القدامى والمحدثين.....	45-43

-المبحث الثاني: تصنيف الأصوات بين القدامى والمحدثين. ✓ مخارج الأصوات..... ✓ صفات الأصوات..... ✓ الخلافات في (واو. ألف. ياء).....	64-46 51-46 59-52 64-60
التركيب:.....	66-65
خاتمة:.....	70-67
قائمة المصادر والمراجع:	76-71
الملحق:.....	77

الملخص:

يهتم موضوع هذا البحث بدراسة وتتبع مراحل تطور علم الأصوات العربي بالإضافة إلى المقارنة بين الدرس الصوتي القديم والحديث وبيان أهم الفروقات العلمية والمعرفية بين الفئتين من حيث التدوين وكذا تصنيف الأصوات حسب مخارجها وصفاتها فبعد أن كان فرعا في القديم أصبح علما له مناهجه ومصطلحاته ومخابره.

الكلمات المفتاحية : الصوت، الحرف، اللغة، اللسانيات، الصوامت، الصوائت.

Summary:

The subject of this research is concerned with studying and tracing the stages of development of Arabic phonetics, in addition to comparing the ancient and modern phonemic lesson and clarifying the most important scientific and cognitive differences between the two categories in terms of notation, as well as the classification of sounds according to their exits and qualities.

Keywords: sound, letter, language, linguistics, consonants, vowels